

# أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية | الديمocratique

# عبد الرحمن منيف: أنا حالة خاصة



# □ أيهـا الفـلـسـطـينـىـ؟ مـنـ يـرـقـصـ أـفـضـلـ مـنـاـ؟

# □ الثـورـةـ الـثقـافـيـةـ الشـبـابـيـةـ



أ. علاء الدين شوهي

[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)



# أَدْبُ وَنُفُذُ

مجلة الثقافة الوطنية الديموقراطية  
شهرية يصدرها حزب التجمع الوطني التقليدي الوليدي  
تأسست عام ١٩٨٤ - السنة السابعة عشر  
العدد ١٨٨ - ٢٠١١ ميلادي





**مكتبة لسان العرب**



المستشارون : د. الطاهر مكى / د. أمينة رشيد /  
 صلاح عيسى / د. عبد العظيم أنيس  
 شارك في هيئة المستشارين ومجلس التحرير الراحلون : د. لطيفة الزيات /  
 د. عبد المحسن طه بدر / محمد روميش / ملك عبد العزيز .  
 لوحة الغلاف للفنانة : رباب نمر  
 الرسوم الداخلية للفنان : سعد عبد الوهاب  
 التنفيذ الفني للغلاف : أحمد السجيني

(طبع شركة الأمل للطباعة والنشر ) .  
 أعمال الصف والتوضيب الفنى : فسرين سعيد إبراهيم  
 المراسلات : مجلة أدب ونقد ١ شارع كريم الدولة / ميدان طلعت حرب . الأهالى  
 القاهرة - ت : ٢٩ / ٢٨ - فاكس : ٥٧٨٤٨٦٧ - ٥٧٩١٦٢٧ .  
 الاشتراكات لمدة عام : داخل مصر ٤ جنديها / البلاد العربية ٢٠ دولاراً - أوروبا  
 وأمريكا - ٦٠ دولاراً باسم الأهالى - مجلة أدب ونقد . الأعمال الواردة  
 إلى المجلة لا ترد لأصحابها سواء نشرت أو لم تنشر .

## المحتويات



- أول الكلام / المحررة / ٥

• الثورة الثقافية في أوروبا وأمريكا / ترجمة شهرت العالم / ١١

• دافعت عن قيثاراتي (شهادة) / فريدة النقاش / ٤٣

• حوار مع عبد الرحمن منيف: لا تهمنى الجوائز / أحمد الدويحي / ٥٠

• أيها الفلسطيني: من يرقص أفضل منا (رأي) / قاسم مسعد عليوة / ٦١

### الديوان الصغير:

هرة أبي: حكايات أرمنية

تأليف: زوهرا بنت بليان / ترجمة: نزار الخليلى / تقديم عادل /

الدمراوى / ٦٥

\* الأحداث / قصة / ادوارد فوكس / ترجمة: طلعت الشايب / ٨١

\* الغربة لا تليق بالعشاق / قصة / فاضل البياتى / ٨٨

\* بيلانسى / قصة / أحمد الشريف / ٩٤

\* ثلاثة فوانيس كبيرة / قصة / محمد عامر فاضل / ٩٨

\* حكاية العضلة القابضة / قصة / عبد الحميد اليسينى / ١٠٣

\* فرح بالموتى / قصة / صفاء عبد المنعم زايد / ١١١

\* عصفور / شعر / خالد حرب / ١٢٠

\* بناذة المبدعين (تواصل) / ١٢٣

\* الأجندة / إعداد: مصطفى عبادة / ١٣٥



## أول الكتابة

### فريدة النقاش

شعارنا هو:

«كن واقعياً واطلب المستحيل! نحن ننتزع أحجار الشوارع، ونبحث تحتها عن الشاطئ» هكذا يقول الطالب لأستاذة الفيلسوف الذي يرقد مريضاً في المستشفى وهذا القول هو دفاعه عن ثورة الطلاب التي كان المطلوب السياسيون قد أطلقوا عليها وصف ربيع باريس بعد أن اجتاحت جامعات فرنسا كلها في مايو من عام ١٩٦٨ وذلك في قصة «الأحداث». للكاتب الأمريكي الانجليزي «إدوارد فوكس» والتي ترجمها لنا الصديق الفنان «طلع الشايب» لهذا العدد.

كان الطلاب الفرنسيون قد عبروا عن غضبهم لافحص ضد النظام الطبقى الأبوى فى فرنسا برئاسة الجنرال ديغول «ذلك العملاق الفاشي» على حد وصفهم بل أيضاً ضد الحرب فى فيتنام ضد الكنيسة والأسرة.. وما يدعونه بالجهاز الأيديولوجي للدولة بما فى ذلك الكلية نفسها.

كانت إذن ثورة شاملة ضد المؤسسة.. أخذ الطلاب في خضمها يصنعن حلمهم اليوتوبى كما سماها أستاذهم المريض بينما يريدون أن يغيروا العالم ويقلبوه رأساً على عقب مدفوعين بالمثل العليا التحريرية الإنسانية، مستمددين من غضبهم طاقة متجددة لمواجهة القمع باحثين «عن شاطئ تحت الأحجار»، تلك الأحجار التي استخدموها في مقاومة الهجوم الوحشى للبوليس عليهم حين انفجرت مظاهراتهم مطالبة بالإفراج عن المعتقلين من زملائهم.. الذين طالبوا بتغيير جذرى لكل مناهج التعليم وطراحته.. لكن لأنهم لم يكونوا قادرين على انتزاع كل الأحجار التي تخطى على الشاطئ مع القوى الأخرى المضطهدة التي لم تنضم إليهم لأن عناصر الثورة الشاملة لم تنضج، وكانتوا هم معنيين بمفهوم التحرر الذاتى أى تحررهم هم بصرف النظر عن المجتمع وصف الأستاذ حركتهم بأنها تمرد أيدىولوجى وليس ثورة سياسية باعتبار أن الأيدىولوجيا هي نظام الأفكار والتصورات المسيطر على فكر إنسان أو

جماعة إنسانية، وهى أيضاً تصور للعلاقات الخيالية القائمة بين الأفراد والظروف الواقعية لوجودهم ..أى أنها متمترسة في العقل والوعي.

أما الثورة السياسية فهى تلك التي تؤدى إلى التغيير الجذرى لا فحسب في الأفكار والوعي وإنما أيضاً في المؤسسات ونظم الحكم وال العلاقات الاجتماعية في إعادة توزيع الثروة لسيطرة البشر على مقدراتهم ومصادرهم . وكان الأستاذ المريض المتهם بأنه مموسوس أو مجذون قد تنبأ بهزيمة الطلاب من واقع متابعته المركزية لأساليب عمل الشرطة ومعرفته الواسعة بمدى قوة أجهزة القمع ومؤسساته بل وأساليب عمل السلطة كلها في مواجهة تمرد الطلبة وحركة الشعب عامـة.. وقال الأستاذ للطالب مؤكداً «السلطات الفرنسية أدخلت سلاحاً سورياً لمقاومة حركة الطلاب».

وحيـن استـمع الطـالـب إـلـى ذـلـك ظـنـه من قـبـيل الـهـلوـسـات وإـذ بـناـ نـتـبـينـ فـيـ نـهـاـيـةـ القـصـةـ أـنـ السـلاـحـ السـرـىـ الذـىـ يـصـفـهـ الأـسـتـاذـ قـدـ جـرـىـ اـسـتـخـادـهـ بـالـدـقـةـ المـتـنـاهـيـةـ الذـىـ وـصـفـهـ بـهـاـ ..ـ لـتـبـينـ لـنـاـ قـوـةـ وـهـيـمـنـةـ الـمـؤـسـسـةـ السـيـاسـيـةـ وـالـبـولـيـسـيـةـ وـقـدـرـاتـهـ غـيرـ المـحـدـودـةـ وـإـنـ اـهـتـزـتـ أـوـ عـلـىـ الـأـقـلـ تـخـلـخـلـتـ سـطـوـتـهـ الـأـيـديـوـلـوـجـيـةـ أـمـامـ مـوـجـةـ التـحرـرـ الـعـاصـفـةـ.

ولعلنا سـوـفـ نـتـسـاءـلـ مـاـذاـ وـصـفـ الأـسـتـاذـ حـرـكـةـ الطـلـابـ بـالـيـوـتـوـبـيـاـ وـاقـتـبـسـ منـ «ـلـيـنـينـ»ـ قـوـلـهـ «ـإـنـاـ اـضـطـرـابـ طـفـولـىـ يـمـكـنـ الشـفـاءـ مـنـهـ إـذـ عـولـجـ جـيدـاـ»ـ وـفـىـ ظـنـىـ أـنـهـ يـعـالـجـ هـنـاـ «ـالـيـوـتـوـبـيـاـ»ـ بـعـنـاـهـاـ السـلـبـيـاـ الذـىـ يـنـطـوـيـ عـلـىـ رـوـىـ خـلـاصـيـةـ ذاتـيـةـ وـرـجـعـيـةـ فـيـ خـاتـمـ الـمـطـافـ حـتـىـ لوـ كـانـتـ ذاتـ بـرـيقـ أـخـاذـ شـأنـ النـزـعـاتـ الـفـوـضـوـيـةـ أـوـ حـرـكـاتـ الـدـيـنـيـةـ الذـىـ تـرـىـ أـنـ السـعـادـةـ حـقـقـةـ قـدـ وـجـدـتـ فـيـ الـمـاضـيـ الـجمـيلـ لـدـىـ بدـاـيـةـ عـصـورـ الرـسـالـاتـ الـدـيـنـيـةـ الـكـبـرـىـ وـأـنـ الـعـمـلـ مـنـ أـجـلـ استـعادـةـ هـذـاـ المـاضـيـ الـجمـيلـ هوـ الكـفـيلـ وـحـدهـ بـتـحـقـيقـ السـعـادـةـ الـمـتـشـودـةـ لـلـبـشـرـ جـمـيـعاـ أـىـ أـنـ مـسـتـقـبـلـ البـشـرـ هوـ مـخـزـونـ فـيـ مـاضـيـهـمـ.ـ كـذـلـكـ هـىـ حـالـ الرـؤـيـةـ الـخـلـاصـيـةـ الذـاتـيـةـ الذـىـ تـتـأـسـسـ عـلـىـ أـنـ التـحرـرـ الذـاتـيـ لـكـلـ فـردـ عـلـىـ حـدـ سـوـفـ يـكـونـ فـيـ حـدـ ذـاتـهـ تـحرـرـ لـلـمـجـتمـعـ كـلـهـ ،ـ وـهـوـ ماـ يـتـضـمـنـ قـفـزاـ إـرـادـياـ عـلـىـ عـلـاقـاتـ الـأـنـتـاجـ وـشـبـكةـ الـمـؤـسـسـاتـ الـاجـتـمـاعـيـةـ الـهـائـلةـ

التي أنتجهها المجتمع الطبقي والقائمة على الفوارق الاجتماعية الضخمة والانقسام والتى يدور فيها جمیعا صراع طبقي يخفت أو يجتدم طبقا للمعطيات الذاتية والموضوعية . ويمكن فحسب من خلال إدارة هذا الصراع لصالح الكادحين مع مراکمة مكتسباتهم أن تتحقق الثورة .

أما اليوتوبيا بمعناها الإيجابي المستقبلي فهى التي تنشد تغيير العالم الواقعى القبيح مستلهمة كل المدن الفاضلة التى خلقتها مخلية الفلسفة والمفكرين وحكايات الشعوب وطموحاتها وأساطيرها وأبطالها والعمل الثورى الواعى المنظم الذى يتخلق فى أوساط الطبقات المقهورة والمستغلة (بفتح الغين) هو السلاح البثار فى معاركها من أجل الإطاحة بالاستغلال وإقامة العالم الجديد الذى لا يستطيع الطلاب وحدهم إقامته وإن أسهموا فى زححة القديم وهز أركانه الراسخة .. بفضح الأوهام التى ينطوى عليها.. إذن فلتتحيا اليوتوبيا .. بهذه المعنى للآتى الجميل وإن كان سيأتى دائمًا مثل أى ميلاد مخصوص بالدماء .

خلخلة المقام ألم يكن هذا هو بالضبط ما فعلته ثورة الشباب على إمتداد العمورة فى الستينيات حين انتصرت لشعب فيتنام وأسهمت فى خروج الأمريكيين أذلاء مهزومين منها.. لكن لا ثورة الطلاب ولا انتصار فيتنام وكوبا والجزائر... و... واستطاع وحده حتى الآن أن يقوض أركان النظام الرأسمالى العالمى الذى اشتدت قبضته وهيمنته شراسة بعد سقوط الاتحاد السوفيتى، سوف تجدون وسائل خفية عليكم أن تكتشفوها بأنفسكم بين هذه القصة الجميلة وبين ذلك الفصل من كتاب المؤرخ الانجليزى «إريك هوبسباوم» الثورة الثقافية والذى نعيد نشره فى هذا العدد بسبب خطأ فادح وقع فى العدد الماضى لأبد أثنا سوف نتعلم منه أن نكون أكثر انضباطا وحرضا على «أدب ونقد» والتزاما إزاءها.

إن قصة «الأحداث» شأنها شأن كل نص أدبى غنى قد فجرت كل هذه الأسئلة الكبيرة حول الثورة والتحرر واليوتوبيا بل إنها أيضًا تحيننا إلى انتفاضة الشعب الفلسطينى الذى يقاوم بالحجارة جيشا يستخدم ضده كل الأسلحة من البر والبحر والجو ولكنّه عجز وسوف يعجز عن كسر إرادة التحرر والاستقلال لديه .. أو إرادة التضامن معه ودون أن ينخرط هؤلاء المتضامنون جمیعا فى حلبة الرقص والأضواء

كما يتهمهم القاص «قاسم مسعد عليوة» في نصه الغاضب القاسي في هذا العدد «أيها الفلسطينى ..من عساه أن يرقص أفضل منا» ..ولشدة الغضب والالم المحس كاد «عليوة» أن يقترب من حالة عدمية ..كأن كل الناس ملائكة لأنهم لا يموتون مع الفلسطينيين في الجمرة. رغم أن حرباً نظامية لم تقع ليتمكنوا لها آلاف عبروا عن رغبتهم تلك ..وكأن الكاتب يطلب من الذين يقومون بأعمال بسيطة لمساندة الانتفاضة أن يموتو ولو حتى موتاً مجانيَا لأن المراكمه التي يقومون بها في ساحة الوعي والعقل غير مجده وكأن الجميع يتطلعون فقط لأضواء الإعلام.

إنه ألم الانهيارات الكبيرة على حد تعبير الروائي الكبير «عبد الرحمن منيف» في الحوار المهم الذي أجراه معه في سوريا، أحمد الدويحي وخص به «أدب ونقد». يقول منيف: «في وقت سابق في السبعينيات والسبعينيات كنا نتصور أن كل شيء أصبح ناضجاً، واقترب من التحقق الكامل، من حيث الأحلام والآفاق والرغبات في النفوس في عالم بلا ظلم، في عالم تسوده العدالة واكتشفنا أن ما بيننا وبين تحقيق مثل هذه الأحلام مشوار طويل جداً».

إنه المشوار الطويل الذي يبدأ بخطوة صغيرة كل هؤلاء الذين أبوا أن يقفوا متفرجين على المذبح وأخذوا يمارسون المقاطعة ويدعون الناس لتكثيفها ويرسلون قوافل الطعام والدواء ويصدرون البيانات، ويخاطبون المنظمات العالمية -حتى المعادية.. ولا يملون من شرح أبعاد القضية الفلسطينية التي زيفتها الحكاية الصهيونية. إنه التراكم البديل الوحيد لللائئن والبكاء على الأطلال وإدانة كل شيء. ولا يأس أن تصغر أحلامنا قليلاً وإنما تكون قابلة للتحقيق، وقابلة للاستمرار والتراكم» هكذا يقول منيف مرة أخرى.

أما الديوان المصغير «هرة أبي» حكايات أرمنية من واقع حياة الأقلية الأرمنية في سوريا فإنه إطلاع على عالم معزول جيد علينا وإن كان قد أخذ يحظى بالاهتمام شأنه شأن كل العالم المعزولة والمظلومة سواء من السكان الأصليين في كل أرجاء العمورة، أم الشعوب التي تعرضت للمذابح وعمليات الاستئصال والتهجير مثل الأرمن والفلسطينيين والأكراد الذين طردوا من أوطنهم واحقهم المستعمرون والمستوطنون حتى في المنافي وأنكروا عليهم مطالبهم وهويتهم ومع ذلك قدمت هذه

الشعوب تضحيات هائلة عبر تاريخها وبقيت صامدة تدافع عن نفسها وهي تناشد الإنسانية جماء أن تتفهم قضيائها الحقيقة وألا تستمع فقط لحكايات المستعمررين والغاضبين الذين لم يندر أن يقدموا أنفسهم للعالم كمتحضررين في مواجهة البرابرة والمتواحشين كما فعلت إسرائيل منذ نشأتها وحتى قبل نشأتها.. وأخيراً جداً وقبل أسابيع قليلة أقرت الجمعية الوطنية (البرلمان) في فرنسا أن ما وقع ضد الأرمن من قبل الأتراك في بداية القرن كان مذبحة حقيقة.. مطالبة تركيا بالاعتذار..

وها نحن نطل من زاوية تفاصيل الحياة البشرية اليومية على شعب حلت به المصائب وتعرض للشتات لكنه ظل يحكي الحكايات ويصنع الثقافة ويتطبع إلى العدالة وهو منتشر في أنحاء المعمورة .. معزولاً ومتوجهاً من الغريب مستسلماً في مواجهة الجالية لبدائية الطبيعة كما تبين القصص التي سوف نلمس في عمقها روحًا ساخرة كأنها تتحدى الألم والخراب.

طالما قال « Yasir Arafat » رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية إنني أخشى على الفلسطينيين من مصير الأرمن.. أى الشتات الأبدي.. فهل نستطيع أن نقول له بثقة .. لا .. لا تخش ذلك.. فالامر يختلف..

إنه فعلاً يختلف وإن كان الألم واحداً كأنه موزع بالعدل بين الشعوب المقهورة المتعلقة للتحرر.. مع أول ما يتو سوف يحتفل العمال في كل أرجاء الدنيا بعيدهم وهم يتعرضون للمزيد من النهب الكثيف من الرأسمالية لكنهم يقاومون .. فلتتحيا المقاومة..



## **الثورة الثقافية الشبابية (عندما أصبح الهواء قليلاً)**



تأليف: إريك هوبساوم  
ترجمة: د. شهرت العالم

الفصل الحادى عشر من كتاب اوريك هوبس باوم Culture، وعنوان الأصلى للفصل هو Revolution.

في الفيلم، تؤدي كارمن مورا دور رجل أجرى عملية تغيير جنسه؛ ويسبب علاقة حب تعيسة مع والده/والدها، هجر/هجرت الرجال ودخل/دخلت في علاقة جنسية مثلية مع امرأة (حسب تخميني)، يقوم باداء دورها أحد مُخنثي اللباس المشهورين في مدريد. تعليق على أحد الأفلام، منشور في "Village Voice" (Voice, بقلم بول بerman ١٩٨٧، ص ٥٧٢).

التظاهرات الناجحة ليست بالضرورة تلك التظاهرات التي تحشد أكبر عدد من الناس، بل التي تجذب أكبر اهتمام بين الصحفيين. ويمكن القول، بقليل من المبالغة، إن خمسين من الأفراد البارزين الذين يتمكنون من الحصول على عرض مدته خمس دقائق على شاشة التلفزيون لا يُحدث ناجح، يمارسون تأثيراً سياسياً يماثل التأثير الذي يُحدثه نصف مليون متظاهر.

(Pierre Bourdieu, 1994)



إن أفضل مقاربة لهذه الثورة الثقافية تتخذ سبيلاً، من ثم، من خلال الأسرة family والأسرة المعيشية household (أى من خلال بنية العلاقات بين الجنسين والعلاقات بين الأجيال. لقد كانت هذه المسألة تمثل، فى أى مجتمع، نوعاً من المقاومة المؤثرة إزاء أى تغيير مفاجئ، لكن ذلك لا يعني أن تلك البُنى كانت ساكنة أو مفتقدة للحركة والتغيير. وعلاوة على ذلك، كانت تلك الأنماط تتدنى على نطاق عالمى - رغم ما يبدو من مظهر عكسي - أو على الأقل تجمع بينها أوجه تشابه أساسية عبر مناطق شاسعة. هذا، على الرغم من وجهاً النظر القائل بوجود اختلاف رئيسي بين أوراسيا (بما في ذلك جانب البحر المتوسط) من ناحية، وباقى أفريقيا من الناحية الأخرى (Goody, 1990VII). وهى وجهة نظر تقوم على أساس اجتماعية اقتصادية وتكنولوجية. وبالتالي، فإن تعدد الزوجات - الذى يُقال إنه كان غائباً تماماً أو أصبح كذلك في أوراسيا، ماعدا بالنسبة للمجموعات المتميزة بوجه خاص في العالم العربي - قد ازدهر في أفريقيا، حيث قيل إن تعدد الزوجات كان يشمل أكثر من رُبع الزوجات (Goody, 1990, p. 379).

وعلى الرغم من ذلك، فقد تقاسمت الأغلبية الساحقة من البشر، عبر كافة اختلافاتها، عدداً من السمات المشتركة مثل: الزواج الرسمي وتميز العلاقة الجنسية بين الزوجين (إذ يعتبر "الزناد" جريمة في كافة أنحاء العالم)؛ واعتبار الأزواج أعلى مرتبة بالنسبة للزوجات ("النزعنة الأبوبية")، والأباء بالنسبة للأطفال، والكبار بالنسبة للأجيال الشابة؛ واحتتمال الأسر المعيشية على عديد من الأفراد ... إلى آخره. ومهما بلغ مدى تعقد شبكة القرابة وما تشتمل عليه من حقوق والتزامات متبادلة، فقد كان

البيت النموي - الزوجان وأطفالهما - موجوداً بشكل عام في مكان ما، حتى عندما كان البيت المشترك، أو كانت المجموعة أو الأسرة المعيشية المتعاونة، أكبر حجماً. لقد أصبحت الأسرة النموية نموذجاً قياسياً بالمجتمع الغربي في القرنين التاسع عشر والعشرين. ولذا، فإن فكرة تطور الأسرة النموية، بصورة ما، من أسرة أكبر ووحدات قرابة أكبر، كجزء من نمو البرجوازية أو أي نزعة فردية أخرى، إنما ترتكز على سوء فهم تاريخي ليس أقله طبيعة التعاون الاجتماعي والمنطق القابع خلفه في مجتمعات ما قبل الصناعة. وحتى في مؤسسة شيوعية مثل "زادروجا" (أو الأسرة المشتركة)، وهي مؤسسة سلاقية في البلقان، نجد أن "كل امرأة تعمل من أجل أسرتها بالمعنى الصريح للكلمة، تحديداً زوجها وأولادها، ولكنها أيضاً، عندما يأتي دورها، تعمل من أجل أعضاء الجماعة (community) غير المتزوجين والأيتام" (Guidetti/Stahl, 1977, p. 58). إن وجود مثل هذه الأسرة ونواة الأسرة المعيشية النموية لا يعني بالطبع أن مجموعات أو مجتمعات الأقارب - التي تضم هذه الأسرة - تتشارب في جوانب أخرى. ومع ذلك، بدأت هذه الترتيبات الأساسية، التي امتدت لفترة زمنية طويلة، تشهد تغييراً متسارعاً خلال النصف الثاني من القرن العشرين في البلدان الغربية "المتقدمة"، وإن كان تغييراً متفاوتاً حتى داخل تلك المناطق. ففي إنجلترا وويلز عام ١٩٣٨ - ولا يمكن إنكار درامية هذا المثال - كانت تحدث حالة طلاق واحدة لكل ٥٨ زوجة-Mitchell, 1975, p. 30-32). في حين بلغ المعدل في منتصف الثمانينيات حالة طلاق واحدة لكل ٢٢ زوجة جديدة (UN Statistical Yearbook, 1987). وبالإضافة إلى ذلك، يمكننا أن نشهد تسارع هذا الاتجاه في الحياة المشتركة الحرة بأعوام السبعينيات. ومع نهاية السبعينيات، ارتفع المعدل إلى أكثر من ١٠ حالات طلاق لكل ١٠٠ زوج في إنجلترا وويلز، أي ما يزيد بخمس أضعاف مما كانت عليه الحال عام ١٩٦١ (Social Trends, 1980, p. 84).

لم يكن هذا التوجه مقصوراً على بريطانيا. ويمكن، بطبيعة الحال، رؤية هذا التغير الدرامي بوضوح في البلدان ذات الأخلاقيات التقليدية المفروضة بقوة، مثل البلدان الكاثوليكية. ونجد في بلجيكا وفرنسا وهولندا أن المعدل الخام للطلاق (عدد حالات الطلاق سنوياً لكل ألف من السكان) قد ارتفع بقدر ثلاثة أضعاف تقريباً بين عامي ١٩٧٠ و١٩٨٥. ومع كل، فحتى في البلدان ذات التقاليد المتحررة في مثل هذه الأمور - مثل الدنمارك والنرويج - كان يمكن أن يرتفع المعدل بمقدار الضعف، أو تقريباً الضعف، في نفس الفترة. وكان واضحاً أن شيئاً غير عادي يحدث بالنسبة للزواج في الغرب. فالنساء اللاتي ترددن على عيادات أمراض النساء في كاليفورنيا في

السبعينيات قد أبدى ناخذ اهتماماً جوهرياً في الزواج الرسمي، وتقلصاً في الرغبة في الأطفال ... وتحول سلوكياً بشأن قبول التكيف ثنائي الجنس" (Esman, 1990, p. 67). ولم يكن من المرجح أن يتم تسجيل رد الفعل لهذا من قطاع عرضي من النساء في أي مكان، حتى كاليفورنيا، قبل ذلك العقد.

لقد تزايدت أيضاً أعداد الأفراد الذين يعيشون بمفردهم (أى ليسوا أعضاء في عائلة زوجية أو أسرة أكبر). في بريطانيا، ظل عددهم على ما هو عليه خلال الثلث الأول من القرن، بمعدل يبلغ ٦٪ لكل الأسر المعيشية، ثم اتجه نحو الارتفاع قليلاً بعد ذلك. ومع كل، تضاعفت النسبة، خلال الفترة، ١٩٨٠ - ١٩٦٠، من ١٢٪ إلى ٢٢٪ تقريباً لكل الأسر المعيشية: ثم ارتفع المعدل إلى ما يزيد على الرابع مع حلول عام ١٩٩١ (Abrams, Carr, 1991, p. 26).

Saunders, Social Trends, 1993, p. 26) وفي كثير من المدن الكبيرة في الغرب، كان هؤلاء الأفراد يشكلون حوالي نصف كل الأسر المعيشية. وعلى العكس من ذلك، كانت الأسرة النووية الغربية الكلاسيكية - الزوجان وأطفالهما - تشهد تراجعاً واضحأً. لقد انخفض معدل هذه الأسر في الولايات المتحدة من ٤٤٪ من كل الأسر المعيشية إلى ٣٧٪ وذلك في فترة ٢٠ عاماً (١٩٨٠-١٩٦٠). وفي السويد - حيث كان نصف المواليد تقريباً خلال الثمانينيات لنساء غير متزوجات (World's Women, p. 16) - انخفض المعدل من ٣٧٪ إلى ٢٥٪. وقد أصبحت الأسرة النووية أقلية واضحة، حتى في البلدان المتقدمة التي كانت هذه الأسر تمثل فيها نصف أو أكثر كل الأسر المعيشية عام ١٩٦٠ (مثل كندا، وألمانيا الفيدرالية، وهولندا، وبريطانيا).

وفي حالات معينة، كفت هذه الأسر عن أن تكون نمطية حتى من حيث الاسم: ففي عام ١٩٩١، كانت المرأة تتولى منفردة قيادة ٥٨٪ من مجموع أسر السود في الولايات المتحدة، كما كان ٧٠٪ من مجموع الأطفال ينتمون لنساء منفردات. أما في عام ١٩٤٠، فقد كانت الأمهات المنفردات يتولين قيادة ١١٪ فقط من الأسر "غير البيضاء"؛ وحتى في المدن بلغت النسبة ٤٪ فقط (Franklin Frazier, 1957, p. 317).

وحتى في عام ١٩٧٠، بلغت النسبة ٣٢٪ فقط (New York Times, 5/10/92).

لقد ارتبطت أزمة الأسرة بتغير كبير إلى حد ما في المعايير العامة التي تحكم السلوك الجنسي، والشراكة، والإنجاب. وكانت المسالة على مستويين: رسمي وغير رسمي. وهناك بيانات توضح التغير الرئيسي على المستويين، وتنطبق مع بيانات الستينيات والسبعينيات. من الناحية الرسمية، كان العصر استثنائياً من زاوية الليبرالية في مجال العلاقات الجنسية، سواء بين الجنسين (وأساساً بالنسبة للمرأة التي تفتقر بقدر من الحرية أقل من الرجل)، أو في حالة علاقات الجنسية المثلية.

ويصدق نفس الشئ على أشكال اختلاف الرأى الثقافية- الجنسية الأخرى، ونجد في بريطانيا أن غالبية علاقات الجنسية المثلية لم تكن مجرمة خلال النصف الثاني من الستينيات، أى بعد الولايات المتحدة بسنوات قليلة، حيث كانت ولاية إلينوي أول ولاية تجعل علاقات المثلية الجنسية بين الذكور قانونية في عام ١٩٦٦ (Gohansson Percy, ١٩٦٦ p. 304, .. وفى إيطاليا البابا، أصبح الطلاق قانونياً عام ١٩٧٠، وهو حق تأكيد عبر استفتاء في عام ١٩٧٤. وقد أصبح بيع وسائل منع الحمل وتوفير معلومات عن تنظيم الولادات قانونياً عام ١٩٧١، وفي عام ١٩٧٥، حل قانون جديد للأسرة محل القانون القديم الذي كان مستمراً منذ فترة الفاشية. وأخيراً، أصبح الإجهاض قانونياً عام ١٩٧٨، ثم تأكيد عبر استفتاء في عام ١٩٨١.

ودون شك، أدت القوانين المتساهلة إلى تيسير الأفعال التي كانت محظورة حتى ذلك الحين، كما أسهمت في انتشارها. ومع ذلك، فقد كان القانون بمثابة اعتراف بالمناخ الجديد - الذي يتسم بالتساهل في مجال العلاقات الجنسية - وليس خالقاً لهذا المناخ. ففي أعواام الخمسينيات، بلغت نسبة النساء البريطانيات اللاتي عشن لفترة من الوقت مع أزواجهن قبل الزواج ١٪ فقط؛ ولم يكن ذلك راجعاً إلى التشريع. كما لم يكن التشريع أيضاً سبباً في أن ٢١٪ من النساء البريطانيات فعلن نفس الشئ في باكورة الثمانينيات (Gillis, 1985, p. 307). وقد أصبحت الأمور الآن مباحة بعد أن كانت محظورة، ليس بالقانون والدين فحسب، وإنما أيضاً بالأخلاقيات العُرفية والعادات ورأى المحيط المجاور.

وبطبيعة الحال، لم تؤثر هذه الاتجاهات على مناطق العالم المختلفة بنفس القدر. فبينما ارتفعت معدلات الطلاق في جميع البلدان التي كان متاحاً فيها (إذا افترضنا مؤقتاً أن الإنتهاء الشكلي للزواج عن طريق إجراء رسمي له نفس المعنى في جميع هذه البلدان)، أصبح الزواج أقل استقراراً في بلدان أخرى. لقد ظل استمراره متواصلاً في البلدان الرومانية الكاثوليكية (غير الشيوعية)، في أعواام الثمانينيات. وكان الطلاق أقل انتشاراً في شبه الجزيرة الأيبيرية وفي إيطاليا، بل وحتى أقل ندرة في أمريكا اللاتينية، حتى في البلدان التي تفتخر بثقافتها الرفيعة: حالة طلاق واحدة لكل ٢٢ زوجة في المكسيك، ولكل ٢٣ زوجة في البرازيل (ولكن المعدل في كوبا كان حالة طلاق واحدة لكل ٢٥ زوجة). وظلت كوريا الجنوبية تقليدية على نحو استثنائي، رغم كونه بلد سريع الحركة (حالة طلاق واحدة لكل ١١ زوجة). ومع كل، فحتى اليابان - في باكورة الثمانينيات - بلغ معدل الطلاق فيها أقل من ربع المعدل لدى الفرنسيين، وأقل كثيراً عن المعدل لدى البريطانيين والأمريكيين الذين يلجأون إلى الطلاق بسهولة.

وحتى في العالم الاشتراكي (حينذاك)، كان الوضع يشتمل على تغيرات عديدة - رغم أنها كانت أقل مما عليه الحال في ظل الرأسمالية - ماعدا بالنسبة للاتحاد السوفيتي، حيث كان ترتيبه الثاني بعد الولايات المتحدة فيما يتعلق باستعداد مواطنيه لتحطيم زيجاتهم (UN World Social Situation, 1989, p. 36). ولتأثير هذه التغيرات الدهشة. الأمر الذي كان، ومايزال، يتسم بالأهمية أن نفس هذه التغيرات - سواء كانت كبيرة أم صغيرة - يمكن افتقاء أثرها عبر عالم "التحديث" برمته. وأكثر المجالات لفتاً للنظر، في هذا السياق، هو مجال الثقافة الشائعة لدى عامة الشعب، أو لمزيد من التحديد: الثقافة الشبابية.

## ٢

ففي حالة الطلاق، يشير وجود أطفال غير شرعيين، وبروز الأسرة المعيشية ذات الوالد الواحد (وبشكل ساحق: الأم المنفردة)، إلى وجود أزمة في العلاقة بين الجنسين. كما أن بروز ثقافة شبابية خاصة وقوية بصورة فريدة يشير إلى حدوث تغيير عميق في العلاقة بين الأجيال. إن الشباب هو مجموعة واعية ذاتياً تمتد عمرياً من فترة البلوغ - وهي أكثر تبكيراً بعيداً من السنوات في البلدان المتقدمة عن الأجيال السابقة (Tanner, 1962, p. 153) - إلى منتصف عشرينيات العمر. لقد أصبح الشباب الآن هيئه اجتماعية مستقلة. وتتمثل أهم التطورات السياسية، وخاصة في السبعينيات والستينيات، في عمليات حشد الفرق الشبابية التي حققت، في البلدان الأقل تسييساً، ثروات من صناعة الأسطوانات. لقد كان ٧٥٪ من إنتاجها، وتحديداً موسيقى الروك، يُباع كله تقريباً إلى شباب في الفترة العمرية ١٤-٢٥ سنة (Hobsbawm, 1993, p. xxviii-xxix).

إن التجذير السياسي الذي شهدته أعوام السبعينيات، وكان متوقعاً من جانب فرق أصغر من المعارضين والمنشقين في الميدان الثقافي تحت عناوين مختلفة، كان ينتمي إلى هؤلاء الشباب الذين رفضوا اعتبارهم أطفالاً أو حتى مراهقين (أى كباراً غير مكتمل النضج)، في حين أنكروا الإنسانية الكاملة على الأجيال التي يزيد عمر أعضائها على ثلاثين عاماً، ماعدا بالنسبة للقادة الفكريين.

وفيما عدا الصين - حيث قام ماو بمحشد القوات المُجندة الشبابية نحو واقع مروع (راجع الفصل ١٦) - كان الراديكاليون الشباب، بقدر قبولهم للقيادة، يخضعون لقيادة الأعضاء في مجموعة أقرانهم. ويصدق ذلك بجلاء على الحركات الطلابية في كافة أنحاء العالم. ومع ذلك، وأيّنما كانت تتبّع الانتفاضات العمالية الضخمة، كما حدث في فرنسا وإيطاليا في ١٩٦٨-١٩٦٩، كانت المبادرة تأتي أيضاً من شباب العمال. ولم يكن بمقدور أحد لديه حتى الحد الأدنى من خبرة حدود الحياة الحقيقة، أى لم يكن بمقدور أى



فرد بالغ بالفعل، أن يصوغ بهذه الثقة والجسم تلك الشعارات غير العقلانية التي انطلقت في أيام مايو ١٩٦٨ الباريسية أو "الخريف الساخن" الإيطالي لعام ١٩٦٩: حين اندلعت ثورة الشباب ومعها شعار "tutto e subito" - مثل إننا نريد كل شيء، ونريده الآن (Albers / Goldschmidt / Oehlke, pp. 59, 184).

إن "الاستقلال الذاتي" الجديد للشباب كشريحة اجتماعية منفصلة كان يرمز له بظاهرة ربما لم يكن لها ما يوازيها، عند هذا المستوى، منذ العصر الرومانسي في باكورة القرن التاسع عشر: البطل الذي حياته وشبابه انتهيما معاً. إن هذه الشخصية، التي ابتكرها في الخمسينيات النجم السينمائي جيمس دين، كانت شائعة، وربما حتى مثالية نمطية، فيما أصبح التعبير الثقافي المميز للشباب - موسيقى الروك. هناك بادي هولي، وچانيس چوپلين، وبريان چونس من فريق "رولينج ستونز"، وبوب مارلي، وجيم هيتربيكس، وعدد من الشخصيات المحبوبة جماهيرياً، قد وقعت جميعاً ضحايا لنمط الحياة المؤدي إلى موت المبكر. إن ما أضفي طابعاً رمزاً على هذه الوفيات أن الشباب، الذي كانت هذه الشخصيات تتمثل، كان مؤقتاً بالتعريف وبالمعنى فيمكنك احتراف التمثيل كمهنة طوال حياتك، لكنك لا يمكنك أن تظل الفتى الأول إلى الأبد.

ومع ذلك، ورغم أن الانتماء لفترة الشباب يتغير دائماً - "جيل" الطلاب ينتهي بعد مجرد ثلاثة أو أربع سنوات - فإن صدف العضوية لهذه المرحلة عادة ما يعاد شغلها. لقد كان الإقرار بظهور المراهقة/المراهقة كفاعل اجتماعي واعِ ذاتياً يتزايد وبحماسة شديدة من جانب صناع السلع الاستهلاكية، وأحياناً بصورة أقل تلقائية من جانب الأكبر منه/منها سنًا؛ إذ وجدوا أن المسافة تتسع بين أولئك المستعددين لقبول صفة "الطفل" وأولئك الذين يصرون على صفة "البالغ". ونجد في منتصف السبعينيات أنه حتى حركة بادن باول، صبي الكشافة الإنجليزي، قد أسقطت الجزء الأول من اسمه كنوع من التنازل أمام المزاج السائد في تلك الفترة، واستبدلت يقبعه الكشاف القديم المشهورة البيريه ذي الحافة الأقل نتوءاً (Gillis, 1974, p. 197).

إن المجموعات العمرية لا تُعتبر شيئاً جديداً في المجتمعات. وحتى في الحضارة البرجوازية، تم الاعتراف بتلك الشريحة التي تضم أولئك الناضجين جنسياً، لكنهم مايزالون في مرحلة النمو البدني والفكري ويقتدون خبرة الحياة لدى الكبار. ولا يُغير من الأمر شيئاً أن هذه المجموعة أصبحت تصل إلى بداية سن البلوغ والحد الأقصى من ارتفاع القامة في فترة أكثر تبكيراً عن السابق (Floud et al., 1990). ولم يؤد ذلك إلا إلى إحداث توتر بين الشباب وأولياء أمورهم ومدرسيهم، الذين يُصرون على معاملتهم باعتبارهم أقل نماءً مما يشعرون به تجاه أنفسهم. لقد كانت الأوساط البرجوازية

تتوقع أن شبابها من الرجال - باعتبارهم متمايزين عن شاباتها من النساء - سوف يمرون خلال مرحلة من الاضطراب و "بذر" بذور "الشوفان" البرى الخاصة بهم. إن الجديد في الثقافة الشبابية الجديدة كان ثلاثي الأبعاد.

أولاً، لم تكن مرحلة "الشباب" تُعتبر مرحلة تمييزية في فترة البلوغ، ولكنها كانت تُعتبر - بمعنى ما - مرحلة نهاية للتطور الإنساني الكامل. لقد كانت الحياة تنحدر بوضوح بعد سن الثلاثين، منها في ذلك مثل النشاط الرياضي، وهو النشاط الإنساني الذي يbedo خلاله الشباب أكثر بروزاً، كما أنه يحدد الان طموحات مزيد من البشر أكثر من أي شيء آخر. وفي أحسن الأحوال، يقل الاهتمام به بعد هذه السن. وهناك دليل آخر لطريقة تنظيم العالم على نحو غير مرض، يتمثل في أن الفكرة السابقة لا تتوافق والواقع الاجتماعي الذي تناولت خلاله، مع تزايد السن (باستثناء النشاط الرياضي)، وبعض أشكال الترفيه، وربما الرياضيات البحثة)، القوة والنفوذ والإنجاز، فضلاً عن الثروة. وحتى سنوات السبعينيات، كان عالم ما بعد الحرب محكوماً بواسطة الشيوخ بدرجة أكبر مما كانت عليه الحال في الفترات المبكرة، وتحديداً بواسطة الرجال - بالكاد بواسطة النساء حتى الآن - الذين كانوا كباراً بالغين عند نهاية الحرب العالمية الأولى، أو حتى لدى بدايتها. وهو الأمر الذي ينطبق على كلِّ من العالم الرأسمالي (أديناور)، ديجول، فرانكو، تشيرشل) والعالم الشيوعي (ستالين وخروتشوف، ماو، هوشى منه، تيتو)، كما ينطبق أيضاً على الدول الكبيرة في مرحلة ما بعد الكولونيالية (غاندي، نهرو، سوكارنو). إن وجود قائد يقل سنه عن الأربعين كان أمراً نادراً حتى في النظم الشورية التي ظهرت نتيجة للانقلابات العسكرية. - وهو نمط من التغيير السياسي عادة ما يقوم به ضباط صغار نسبياً، لأن مادتهم ويمكن أن يفقدوه يقل عما لدى الضباط الكبار. ومن هنا يتبين قدر كبير من تأثير قييل كاسترو على المستوى الدولي، وقد تولى زمام السلطة وهو يبلغ من العمر ٢٢ عاماً.

وعلى الرغم من ذلك، فقد كانت هناك امتيازات صامدة، وربما ليست دائمًا واعية، من جانب مؤسسات الكبار لتجديد شباب المجتمع، ليس أقلها ما قامت به الصناعات المزدهرة في مجال مستحضرات التجميل والعناية بالشعر والصحة الشخصية، والتي استفادت - على نحو متفاوت - من الثروة المتراكمة لدى قليل من البلدان المتقدمة.<sup>(١)</sup> ومنذ نهاية السبعينيات، ظهر ميل نحو خفض سن التصويت إلى ١٨ سنة - كما في الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وألمانيا، وفرنسا - فضلاً عن بعض علامات بشأن خفض سن الإدراك بالنسبة للعلاقات الجنسية (بين الجنسين). ومن المفارقات الملحوظة أن زيادة طول فترة العمر المتوقع أدت إلى زيادة نسبة كبار السن، على الأقل

بين الطبقات العليا والوسطى المحظوظة، كما تأخرت مرحلة الانحدار إلى الشيوخة، وأصبح الوصول إلى سن التقاعد أسرع؛ أما في الأوقات العصيبة، فقد أصبح "التقاعد المبكر" أسلوباً مفضلاً لتقليل نفقات العمالة. وقد وجد مدير الأعمال، الذين تزيد أعمارهم على ٤٠ سنة، صعوبة في إيجاد وظائف جديدة (تماثل الصعوبة التي وجدها العمال اليدويون وفنانو الاليات البيضاء).

البعد الجديد الثاني، المتعلق بالثقافة الشبابية، ينبع من البعد الأول: كان الشباب، أو أصبح، سائداً في "اقتصادات السوق المتطرفة". ويرجع ذلك جزئياً إلى أنه كان يمثل كتلة متمركزة من القوة الشرائية، وجزئياً لأن كل جيل جديد من الكبار البالغين كان قد تربى باعتباره جزءاً من الثقافة الشبابية الوعائية ذاتياً وحمل علامات هذه الخبرة، ليس أقلها أن سرعة التغيير التكنولوجي المذهلة قد أعطت الشباب أفضلية بالفعل، يمكن قياسها، بالنسبة للأعمال الكبيرة نسبياً والتى تمثل إلى المحافظة أو على الأقل عدم القابلية للتكييف. وبغض النظر عن البنية العمرية لإدارة شركته "آى. بي. إم" أو "هيتشى"، فقد جاء تصميم الحاسوبات الالكترونية والبرامج الجاهزة الجديدة على أيدي شباب في العشرينيات من العمر. وحتى عندما ثبت أن هذه الأجهزة والبرامج مجرد أدوات غبية - بما يبعث على الأمل - فإن الجيل الذي لم يكن فهو مواكباً لها، كان واعياً بدوره بالفعل بالنسبة للأجيال التي نشأت وتربت معها. إن ما يمكن أن يتعلمه الأطفال من الآباء قد أصبح أقل وضوحاً بالنسبة لما لا يعرفه الآباء، ويتعلمونه من الآباء. لقد أصبح دور الأجيال معكوساً. ونجد أن بنطلونات الجينز - وهي اللباس الشائع عن قصد الذي أصبحت له الريادة في الجامعات الأمريكية من جانب الطلاب غير الراغبين في أن يبدو مظهراً مشابهاً لظهور الكبار - قد بدأت في الظهور خلال أيام أجازة نهاية الأسبوع وال العطلات، أو حتى في الواقع "الإبداعية" في أماكن العمل، يرتديها كثيرون من أصحاب الشعر الرمادي.

أما البُعد الجديد الثالث في الثقافة الشبابية الجديدة في المجتمعات الحضرية، فهو تدوينها الذي يصل إلى درجة مذلة. لقد أصبح الجينز، كما أصبحت موسيقى الروك، علامات تدل على الشباب "الحديث" (الموردن)، وعلى الأقلية المُقدرة لها أن تصبح أغلبيات، وذلك في جميع البلدان التي أجازتها رسمياً وفي بعض البلدان التي لم تجزها رسمياً، كما هي الحال في الاتحاد السوفيتي بدأ من الستيينيات وما بعدها (Starr, 1990, Chapters 12 to 13). إن كلمات اللغة الإنجليزية التي استُخدمت لنظم الشعر الفنائي لموسيقى الروك لم تتم أبداً ترجمتها. وهو الأمر الذي كان يعكس الهيمنة الثقافية الساحقة للولايات المتحدة على الثقافة وأنماط الحياة الشائعة، رغم ضرورة

الإشارة إلى أن جوهر الثقافة الشبابية الغربية كان النقيض للشوفينية ثقافيةً وخاصة في الأذواق الموسيقية. لقد رحبوا بالأنمط المستوردة من منطقة الكاريبي وأمريكا اللاتينية؛ ومنذ الثمانينيات، تزايد ترحيبهم بالأنمط المستوردة من أفريقيا. ولم تكن هذه الهيمنة الثقافية بجديدة، ولكن أسلوب عملها قد تغير. لقد كان توجهها الأساسي، في الفترة الواقعة بين الحربين، يتمثل في صناعة الفيلم الأمريكية، وهي الصناعة التي تحظى بتوزيع عالمي ضخم. وكان يشاهدها جمهور من مئات الملايين، وصل حجمه إلى أقصاه بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة. ومع نهوض التلفزيون والإنتاج السينمائي العالمي، ومع نهاية نظام ستديو هوليوود، فقدت تلك الصناعة الأمريكية بعضاً من هيمنتها وكثيراً من جمهورها. لقد أنتجت في عام ١٩٦٠، ما لم يزد على سُدس الإنتاج السينمائي العالمي، حتى بدون حساب اليابان والهند (UN) (Statistical Yearbook, 1961). رغم أنها أخذت تستعيد أخيراً كثيراً من هيمنتها. فإن الولايات المتحدة لم تنجح أبداً في تحقيق السيطرة على أسواق التلفزيون الضخمة شديدة التنوع من زاوية اللغة. لقد انتشرت أنماطها الشبابية، إما بصورة مباشرة أو من خلال تكبير إشاراتها عبر بريطانيا كموقع ثقافي في منتصف الطريق، وذلك عن طريق نوع غير رسمي من النفاذ بالتشاقف والامتزاج. وقد انتشرت من خلال الأسطوانات، وبعد ذلك شرائط التسجيل؛ وكان وسط الترويج الأساسي لها - في ذلك الحين، وكما كانت الحال سابقاً، وكما أصبح فيما بعد - هو المذيع عتيق الطراز. كما انتشرت من خلال التوزيع العالي للصور؛ ومن خلال الاتصالات الشخصية عبر السياحة الشبابية، التي أدت إلى دخوله تدفقات صغيرة، وإن كانت مت坦مية، من الشباب من الجنسين، يرتدون الجينز، إلى جميع أنحاء العالم؛ ومن خلال الشبكة العالمية للجامعات، التي برزت في السبعينيات قدرتها على تنمية الاتصالات الدولية السريعة. وليس أقل من ذلك أنها انتشرت من خلال قوة "الموضة" في المجتمع الاستهلاكي، والتي وصلت الآن إلى الجماهير بقدر من المبالغة يرجع إلى الفيسبوك القائمة داخل مجموعات الأقران. لقد ظهرت للوجود ثقافة شبابية عالمية.

هل كان يمكن أن تظهر في أي فترة أخرى أكثر تبكيراً؟ كلا بالتأكيد. كانت دائرة أنصارها ستكون أصغر كثيراً، سواء نسبياً أم بشكل مطلق، إذ أن إطالة التعليم بحيث يستغرق كل الوقت - وخاصة مع وجود عدد كبير من الشباب والشابات يختلطون معاً كمجموعة عمرية في الجامعات - قد أنسهم في توسعها بدرجة كبيرة. وعلاوة على ذلك، حتى الشباب المراهق الذي دخل سوق العمل لكل الوقت في سن مغادتها للمدرسة (يتراوح بين ١٤ و١٦ سنة في بلد "متقدم" نمطياً)، كان يمتلك قوة مستقلة

للإنفاق تفوق كثيراً ما كان لدى من سبقوه، وذلك بفضل ما تحقق من ازدهار وتوظيف كامل في ظل العصر الذهبي؛ وبفضل الازدهار الذي حققه أباوهم وجعل احتياجهم إلى مساعدة أبنائهم في ميزانية الأسرة أقل. لقد كان اكتشاف هذه السوق الشبابية في منتصف الخمسينيات هو الذي أدى إلى تثوير تجارة الموسيقى الشبابية الحديثة - موسيقى الپوب (pop) - فضلاً عن نهاية السوق الضخم في أوروبا المتعلقة بصناعة "الموضة". إن "ازدهار سن المراهقة" في بريطانيا، حيث بدأ في تلك الفترة، كان يرتكز على التمركز الحضري للفتيات اللاتي يحصلن على أجور عالية نسبياً في المكاتب وال محلات التي أخذت تنتشر، إذ امتلكن قدرًا من النقود للإنفاق أكثر مما لدى الفتيا، كما كانت الفتيات في تلك الأيام أقل ارتباطاً بالأنماط الذكورية التقليدية للإنفاق (البيرة والسباح). إن الازدهار قد كشف بداية عن قوته في المجالات التي برزت فيها مشتريات الفتيات، مثل البلوزات، والتنورات، ومستحضرات التجميل، وأسطوانات موسيقى الپوب (Allen, 1968, pp. 62-63)، ناهيك عن حفلات الپوب الموسيقية التي كانت الفتيات أشهر حاضريها وأكثرهم استماعاً. ويمكن قياس قوة هذا المال الشبابي من خلال مبيعات الأسطوانات في الولايات المتحدة، حيث ارتفعت من ٢٧٧ مليون دولار عام ١٩٥٥، عندما ظهر الروك، إلى ٦٠٠ مليون دولار عام ١٩٥٩، ثم إلى ٤٧٣ مليون عام ١٩٧٣ (Hobsbawm, 1993, p. xxix). لقد كان كل عضو في مجموعة عمرية تضم أفراداً تتراوح أعمارهم من ٥ إلى ١٩ سنة في الولايات المتحدة ينفق في عام ١٩٧٠ على الأسطوانات ما يعادل خمسة أضعاف المعدل عام ١٩٥٥. وكلما كان البلد أغنى، كلما تعاظمت تجارة الأسطوانات: انفق شباب الولايات المتحدة، والسويد، وألمانيا الغربية، وهولندا، وبريطانيا ما يزيد بمقدار ١٠-٧ أضعاف للفرد عن شباب البلدان الأفقر وإنما ذات نمو متواضع، مثل إيطاليا وأسبانيا.

إن قوة السوق المستقلة قد جعلت من الأيسر بالنسبة للشباب اكتشاف الرموز المادية أو الثقافية للهوية. ومع كل، فيما أدى إلى زيادة حدة الخطوط العريضة لهذه الهوية كان الفجوة التاريخية الضخمة التي فصلت بين أجيال ما قبل عام ١٩٢٥ تقريباً، وبين أجيال ما بعد عام ١٩٥٠ تقريباً. إنها فجوة أكبر كثيراً من تلك الفجوة التي كانت تفصل بين الآباء والأبناء في الماضي. لقد أصبح الآباء الذين لديهم أبناء مراهقين يعون ذلك بالفعل خلال السبعينيات وبعدها. لقد عاش الشباب في مجتمعات منقطعة الصلة ب الماضي، سواءً أكانت قد شهدت تحولاً عن طريق ثورة، كما حدث في الصين أو يوغوسلافيا أو مصر؛ أم عن طريق غزو واحتلال، كما في ألمانيا واليابان؛ أو

عن طريق التحرر من الكولونيالية. إنهم لا يملكون ذاكرة حول عصر ما قبل الطوفان. وربما باستثناء الخبرة المشتركة لحرب وطنية كبرى - مثل ترابط الكبار والصغر معاً لفترة في روسيا وبريطانيا - لم تكن لديهم أى وسيلة لفهم ما مر به الكبار من خبرات وما شعروا به من أحاسيس - حتى عندما كان الكبار مستعدين للحديث عن الماضي، فغالبية الألمان واليابانيين والفرنسيين ينفرون من القيام بذلك. كيف يمكن لشاب هندي، لم يكن الكونجرس يُمثل بالنسبة له سوى حكومة أو آلية سياسية، أن يفهم شخص كان الكونجرس (حزب المؤتمر الهندي) بالنسبة له تعبيراً عن أمّة تناضل من أجل تحررها؟ بل وحتى كيف يمكن للأقتصاديين الهنود الشباب، الذين اكتسحوا أقسام الجامعات في العالم، أن يفهموا مدرسيهم الذين كان أقصى طموحهم في الفترة الكولونيالية أن يصبحوا ببساطة "ممثل جودة" النماذج الميتروبوليتانية؟! تلك الشائعة في العواصم الكبرى من البلدان الاستعمارية.<sup>٩</sup>

لقد أدى العصر الذهبي إلى توسيع هذه الفجوة، على الأقل حتى السبعينيات. كيف يمكن للفتيان والفتيات، الذين يكبرون في ظل عصر التوظيف الكامل، أن يتفهموا خبرة الثلاثينيات؟ أو على العكس، كيف يتمنى للجيل الأكبر أن يتفهم الشباب الذين لم تكن الوظيفة تمثل بالنسبة لهم ملذاً أمّناً بعد الخوض في بحار عاصفة (و خاصة وظيفة أمّنة تضمن حقوق المعاش)، في حين كانت تمثل شيئاً يمكنهم الحصول عليه في أي وقت، بل والتخلّى عنه في أي وقت يشعر فيه الفرد برغبة في الذهاب إلى نيبال لقضاء عدة أشهر؟ ولم يقتصر هذا النوع من الفجوات الجيلية على البلدان الصناعية، إذ أن الانحدار المذلل الذي شهدته المناطق الريفية قد خلق هوة مماثلة بين الجيل الريفي والجيل الذي كان ريفياً، وبين جيل العمل اليدوي وجيل العمل الآلي. إن أستاذة التاريخ الفرنسيين - الذين تربوا في فرنسا، حيث كل منهم إما نشأ في مزرعة أو أمضى أجازته فيها - اكتشفوا أن عليهم أن يشرحوا للطلبة في السبعينيات كيف يبدو فنان مزرعة يضم كومة من الروث. والأكثر من ذلك، أن هذه الفجوة بين الأجيال قد أثرت حتى على أولئك الذين مرروا بالأحداث السياسية الكبرى بالبلد، أو ليس لديهم أراء بعينها حول هذه الأحداث، إلا بقدر ما يتعلق الأمر بمدى تأثيره على حيواناتهم الشخصية - وهؤلاء يشكلون أغلبية سكان العالم.

وبطبيعة الحال، فسواء مرت بهم هذه الأحداث أم لم تمر، فإن أغلبية سكان العالم هم الآن الأصغر سنًا عن أي فترة سابقة. ففي الجزء الأكبر من العالم الثالث، حيث لم يحدث بعد التحول الديموغرافي من المعدل الأعلى للمواليد إلى المعدل الأدنى، فإن ما

بين خمس السكان ونصفهم في أي فترة خلال النصف الثاني من القرن العشرين كان مُرجحاً أن يقل عن سن الرابعة عشر. ومع ذلك، فمهما كانت قوة روابطهم الأسرية، ومهما كانت قوة شبكة التقاليد الواقعين في شبابها، لم يكن من الممكن إلا أن توجد فجوة هائلة بين فهمهم للحياة ولخبراتهم وتوقعاتهم، وبين فهم الأجيال الأكبر. إن الذين تعرضوا للنفي من جنوب أفريقيا وعادوا إلى بلدتهم في باكرة التسعينيات يمتلكون فهماً يختلف عن فهم "الرفاقي" الشباب حول معنى النضال من أجل المؤتمر الوطني الأفريقي؛ فهو لا الشباب حملوا نفس الرأي في المناطق الأفريقية (التي يشغلها غير المنحدرين من أصول أوروبية). وعلى العكس من ذلك، كيف يمكن للغالبية في سويفا - الذين ولدوا بعد دخول نلسون مانديلا السجن - أن تعتبر مانديلا شيئاً آخر غير رمز أو معبود؟ لقد كانت الفجوة بين الأجيال في تلك البلدان أكبر، من نواح عديدة، مما كانت عليه الحال في الغرب، حيث المؤسسات الدائمة والاستمرارية السياسية ربطت بين الكبار والصغار.



لقد أصبحت الثقافة الشبابية منيت الثورة الثقافية بالمعنى الأوسع للثورة من زاوية السلوك والعادات ووسائل شغل أوقات الفراغ والفنون التجارية، التي تشكلت بتزايد الهواء الذي تنفسه الرجال والنساء في الحضر. ومن هنا، فإنها تتسم بصفتين وثيقتي الصلة بما سبق. أنها انتشرت على المستوى الشعبي، وأنها كانت متناقضة، وخاصة فيما يتعلق بالسلوك الشخصي. كان كل فرد "يقوم بمبasherه أموره" مع حد أدنى من القيود الخارجية، على الرغم من أن ضغوط الأقران والموضة" كانت في الممارسة مفروضة بنفس الاتساق السابق، على الأقل داخل مجتمعات الأقران والثقافات الفرعية.

لم يكن جديداً في حد ذاته أن الشرائح العليا وجدت أن تترك نفسها للتاثير ما وجدته بين "الناس". وحتى إذا تركنا جانبنا الملكة ماري أنطوانيت التي أحبت دور عاملات محل البن، نجد الرومانسيين يعيشون الثقافة الشعبية الريفية والموسيقى الشعبية والرقص الشعبي؛ وكان أكثر مثقفيهم غرابة (بودليير) مفتوناً بالحنين لآخاديد المياه: كما كان كثير من الفيكتوريين يرون أن ممارسة الجنس مع شخص ينتمي لمرتبة أدنى (حيث يعتمد نوع الجنس على الذوق الشخصي)، مرضياً بصورة استثنائية. (ولم تنقرض هذه المشاعر تماماً في القرن العشرين). وفي عصر الامبراطورية، بدأت التأثيرات الثقافية تتحرك للمرة الأولى متوجهة للصعود باضطراد (راجع "عصر

الامبراطورية، الفصل التاسع)، سواء من خلال التأثير القوى للفنون العامية (plebeian arts) حديثة التطور، أم من خلال السينما التي تُعد وسيلة الترفيه من الدرجة الأولى لسوق ضخمة مع ذلك، فقد ظلت غالبية وسائل الترفيه العامة والتجارية، في الفترة الواقعة بين الحربين، خاضعة لهيمنة الطبقة الوسطى، أو وُضِعت تحت مظلتها، بأشكال عديدة. وفوق كل شيء، كانت صناعة هوليوود الكلاسيكية للسينما تحظى بالاحترام. كانت الصورة الأمريكية حول "قيم الأسرة" الراسخة بمثابة مثالها الأعلى الاجتماعي، وكانت الكنيسة الصغيرة التي تلعب دوراً وطنياً بمثابة أيديولوجيتها. وعندما كانت تكتشف، في سعيها خلف طابور شباب التذاكر، وجود نوع أدبي لا يتفق والعالم الأخلاقي للأفلام "أندى هاردى" الخامسة عشر (١٩٤٧ - ١٩٣٧) - التي فازت بجائزة الأكاديمية للاقلام - مقاومت به من "تعزيز لأسلوب الحياة الأمريكي" (Halliwell, 1988, p. 321) - مثل أفلام العصابات وقاطعى الطرق، التي ظهرت فى فترة مبكرة وكانت تنطوى على مخاطرة إضفاء طابع مثالى على مُنتهكى القانون، فإنها سرعان ما كانت تستعيد النظام الأخلاقي، من حيث كونه ليس فى أيد أمينة بالفعل - أى قانون إنتاج هوليوود (١٩٣٤ - ١٩٦٦)، الذى حدد الوقت المسموح به لعرض قبّلات على الشاشة (والآفواه مغلقة) بمدة يصل حدّها الأقصى إلى ثلاثين ثانية. أما الانتصارات الكبرى التي حققتها هوليوود - مثل فيلم "ذهب مع الريح" - فقد كانت ترتكز على روايات مُعدّة للقراء متوسطي الثقافة من الطبقة الوسطى؛ كما كانت تنتهي إلى عالم ثقافي راسخ، مثل «سوق المتعة» لشاكري، أو Cyrano de Bergerac، أو سيرانو دي برجراك (إدموند روستنارد). ولم تكن سوى الأنواع الفوضوية وذات الطبيعة الشعبية للمسرحيات الهزلية (vaudeville) والأفلام الكوميدية التي ولدت في السيرك، هي التي قاومت لفترة من الوقت عملية إضفاء الطابع الاستقرائي، على الرغم من تراجعها في الثلاثينيات تحت ضغط genre - "الكوميديا الجنوّة" بهوليوود.

ومرة أخرى، فإن أفلام برونو وائى "الموسيقية" الظافرة، في سنوات ما بين الحربين، والأنغام الراقصة وأغانيها، كانت تُعتبر نوعاً أدبياً برجوازياً، رغم أنه لم يكن من الممكن تصوّره بدون تأثير الجاز (jazz). لقد كان هذا النوع يكتسب لجمهور الطبقة الوسطى في نيويورك، وكانت نصوصه الأوبرالية (librettos) وكلمات أغانيه موجهة بوضوح إلى جمهور بالغ اعتبار نفسه من المشقين المتحررين رفيعي الثقافة في الحضر. إن مقارنة سريعة بين كلمات أغاني كول بورتر وكلمات أغاني فريق رولينج ستونز يمكن أن توضح هذه النقطة. ومثله مثل العصر الذهبي لهوليوود، ارتكز العصر

الذهبى لبرودواى على التعايش بين ما هو عامى وما يتمتع بالاحترام، ولكنه لم يكن منتشرأ على المستوى الشعبي.

والجديد فى الخمسيينيات أن شباب الطبقتين العليا والوسطى - على الأقل فى العالم الأنجلو ساكسونى الذى كان يحدد المزاج العالمى بصورة متزايدة - قد بدأ فى قبول موسيقى ملابس، بل وحتى لغة، الطبقات الدنيا فى الحضر، أو ما بدا أنه كذلك، باعتبارها نموذجاً لهم. لقد كانت موسيقى الروك أكثر الأمثلة بروزاً. وفي منتصف الخمسيينيات، تفجرت فجأة من حيث موسيقى "الرس" (Race) و"الريثم والبلوز" (Rhythm and Blues) كالتوجات شركات الأسطوانات الأمريكية، مستهدفة القراء السود بالولايات المتحدة، لتصبح الأسلوب المميز العالمى للشباب، وبوجه خاص الشباب البيض. لقد كان المتألقون من شباب الطبقة العاملة فى الماضى، يتذذلون أنماطهم أحيباناً من قمة "الموضة" لدى الشرائح الاجتماعية العليا، أو من الثقافات الفرعية للطبقة الوسطى مثل البوهيمية الفنية. وكان الأمر متزايداً بصورة أكبر لدى فتيات الطبقة العاملة. والآن، يبدو أن ما يحدث هو تحول عكسي لافت للنظر. فقد أسس سوق "الموضة" لشباب العامة استقلاله، وبدأ فى تحديد مزاج السوق الارستقراطى. ومع تقدم ارتداء الجينز (للجنسين)، تراجعت بيوت الأزياء الپاريسيية، أو بالأحرى قبلت الهزيمة بموافقتها استخدام اسمائها المرموقة لبيع منتجات السوق الضخمة، سواء بشكل مباشر أو بترخيص. وبالمناسبة، كان عام ١٩٦٥ أول عام تُنْتَج فيه صناعة الأزياء النسائية الپارييسية عدداً من البنطلونات يزيد على عدد التنورات (Veillon, p. 6). وقد أخذ الشباب الارستقراطى فى إسقاط أساليب نطق الكلمات، والتى كانت تحدد فى بريطانيا أفراد طبقتهم بما لا يدع مجالاً للخطأ، وبدأوا فى الكلام بلغة تقترب من أسلوب حديث الطبقة العاملة اللندنية.<sup>(٢)</sup> كما بدأ الشباب من الرجال الذين يتمتعون بالاحترام - وعلى نحو متزايد النساء الشابات أيضاً - في محاكاة ما كان فى يوم ما "موضة" النورة الرجولية التى انتشرت بين العمال اليدويين والجنود وأمثالهم، ولم تكن تحظى بالاحترام على الإطلاق، فضلاً عن الاستخدام العادى للكلمات الفاحشة فى المحادثة. ولم يختلف الأدب عن الممارسة: هناك ناقد مسرحي المعنى جلب كلمة وهى "الفعل الجنسي" fuck إلى جمهور الإذاعة، ولمرة الأولى فى تاريخ الحواديت، أصبحت سندريلا حسناء الحفلة الراقصة بعدم ارتدائها ملابس رائعة.

إن هذا التحول شعبي الطابع فى أنواع شباب الطبقتين الوسطى والعليا فى عالم الغرب - والذى كان له أيضاً ما يوازيه حتى فى العالم الثالث، مع تفوق المثقفين البرازيليين فى رقصة السامبا<sup>(٣)</sup> - قد تربطه أو لاتربطه علاقة باندفاع الطلاب



المنتمنين للطبقة الوسطى نحو السياسة الثورية والأيديولوجيا الثورية بعد ذلك بعده سنوات. إن "الموضة" عادة ما تكون تنبؤية، ولا أحد يعرف كيف. لقد تعزز ذلك بالتأكيد بين الشباب الذكور، في مناخ الليبرالية الجديدة، عن طريق ظهور ثقافة فرعية للمثلية الجنسية ذات أهمية فردية كاتجاه في "الموضة" والفن. ومع كل، ربما ليس من الضروري الافتراض ماهو أكثر من أن النمط شعبي الطابع كان طريقة مناسبة لرفض قيم أجيال الآباء، أو كان - توخيًا لمزيد من الدقة - لغة يمكن للشباب من خلالها أن يتلمس طريقه في التعامل مع عالم لم تُعد فيه قواعد وقيم الكبار مناسبة.

إن التناقض الجوهرى لدى الثقافة الشبابية الجديدة قد ظهر بأوضح تجلياته في اللحظات التي وجدت فيها هذه الثقافة تعبيرها الفكري، كما هي الحال في المقصات الفورية الشهيرة لأيام مايو ١٩٦٨ الباريسية: "الحظر محظوظ"؛ وفي المثل الذي أطلقه جيري روбин الراديكالي الأمريكي أن الفرد لاينتبغى أن يشق في أحد لم يقض مدة (في السجن) (Wiener, 1984, p. 204). وبما يتناقض مع النظرة الأولى، لم تكن هذه العبارات سياسية بالمعنى التقليدي - حتى بالمعنى الضيق المتعلق باستهداف التخلص من القوانين القمعية. لم يكن ذلك هدفهم. لقد كانت تلك العبارات تصريحات علنية عن مشاعر ورغبات شخصية. وكما كان الأمر مطروحاً في إحدى شعارات مايو ١٩٦٨ (Katsiaficas, 1987, p. 101)، "إني أعتبر رغباتي واقعية، إذ أنتي أؤمن بواقعية رغباتي" - فيما كان يشأبه التمرد الجماهيري، بل وكان له هذا التأثير في بعض الأحيان - كانت الذاتية تحتل موقع القلب في كل هذه الأمور. إن شعار "الشخصي هو السياسي" قد أصبح شعاراً مهماً في التوجه النسوي الجديد، وربما كان أكثر نتائج سنوات الراديكالية استمراراً. لقد كان الشعار يعني ببساطة ما هو أكثر من أن الالتزام السياسي له دوافع شخصية ويحقق الرضا الشخصي، وأن معيار النجاح السياسي هو مدى تأثيره في الناس. وفي بعض الشهور كان يعني ببساطة "سوف أطلق على أي شيء يقلقني أنه سياسي"؛ كما جاء في عنوان واحد من الكتب التي ظهرت في السبعينيات (Fat is a Feminist Issue) - "السمنة هي قضية نسوية" - (Orbach, 1978).

إن شعار مايو ١٩٦٨ "عندما أفكرا في الثورة أود ممارسة الحب" كان لا بد أن يبعث على الحيرة ليس فقط لدى لينين وإنما أيضًا لدى روث فيشر - المناضل الشيوعي الشاب في شيينا، الذي هاجم لينين في زمن بطولاته في العلاقات الجنسية غير الشرعية (Zetkin, 1968, pp. 28ff). ومع كل، وعلى العكس من ذلك، فحتى

بالنسبة لأى راديكالى يتسم بالوعي السياسي التقليدى ويتنتمى للاتجاه الماركسي الليتينى الجديد فى المستينيات والسبعينيات، كان الكومونترن الذى صوره بريخت - وكأنه تأثر على مسافر أخذ يمارس الحُب وذهنه مشغول باشياء أخرى، فى العمل ("Der") (Liebe pflegte ich achtllos" - Brecht, 1976, II, p. 722) يمكن لهذا العميل أن يكون شخصاً غامضاً وغير مفهوم بالنسبة لهؤلاء الذين لم يكونوا معنيين بما يأمل الثوريون فى تحقيقه من أهداف خلال نشاطهم، وإنما ما قاموا به وما شعروا به عند قيامهم به. حيث لم يكن فعل الحب عن الثورة وارداً.

وبالتالى، سار التحرر الشخصى والتحرر الاجتماعى معاً فى طريق واحد؛ وهى أكثر الطرق بداعها بالنسبة لهم لتحطيم روابط "الدولة" و هدم سلطة الآباء والجيران، والقانون والعرف، والجنس والمدرارات؛ وأما الجانب الشخصى فلم يكن يحتاج للاكتشاف باشكاله المتعددة. لقد قال الشاعر السوداوى المُحافظ: "بدأت الممارسة الجنسية فى عام ١٩٦٣" (Larkin, 1988, p. 167)، ولم يكن يعني بذلك أن مثل هذه الممارسة لم تكن شائعة قبل ١٩٦٣، أو حتى أنه لم يعتدتها، بل كان يعني أن هذا النشاط قد غيرَ من طابعه العام مع محاكمة "ليدى تشاترلى" \* لقد كان من اليسير إطلاق تلك التلميحات ضد الأساليب القديمة، حيثما تواجد نشاط كان محظوظاً فى السابق. أما حيثما تواجد نشاط كان مُجازاً فى السابق، سواء على نحو رسمي أم غير رسمي، مثل علاقات المثلية الجنسية أو المساحقة بين الإناث، فإنه كان فى حاجة إلى تأكيد وهذا، فإن التزاماً عاماً بالحظر أو غير العُرفى الذى (يجرى إنتاجه) حتى الآن، يحظى بأهمية خاصة. ومن الناحية الأخرى، فإن المدرارات - ماعدا بالنسبة للكحول والتبع - كانت ماتزال مقصورة على ثقافات فرعية محدودة لكل من المجتمع العلوى، وقاع المدنية والهامشى، ولكنها لم تستفد من التشريعات التى يمكن أن تجيزها. ولم يكن انتشارها علامة على التمرد فحسب، فالإحساس الذى ولدتها تتسم بقدر كاف من الجاذبية. ومع ذلك، فقد كان استخدام المدرارات، بالتعريف القانونى، نشاطاً محظوظاً. وربما لأن المادة المُخدرة التى كانت أكثر انتشاراً بين الشباب الغربى - الماريجوانا - كانت أقل ضرراً من المواد الكحولية والتبع، فلم يكن تدخينها (وهو نشاط اجتماعى

(x) عندما انتهت دهـ. لورنس من روايته ليدى تشاترلى سنة ١٩٢٨ وفُضلت دور النشر طبعها، ثم طبعت في نيويورك وتعرضت للمصادرة، وفي أغسطس ١٩٦٠ أعلنت سلسلة بنجويون أنها سوف تنشر الرواية، فحرّك الناشر العام دعوى لصالحه استناداً إلى قانون الطبعومات البدنية وعند نظر القضية احتشد ٣٥ من الكتاب المرموقين ودافعوا عن الرواية وبعد خمس جلسات صدر حكم المحكمة ببراءة الرواية من البناء في ٢ نوفمبر ١٩٦٢. (المحروة)

نمط) مجرد نوع من التحدى، وإنما لإظهار التفوق على من حظروها. وعلى الشواطئ العاصفة في أمريكا الستينيات، وأينما كان يلتقي أنصار موسيقى الروك والطلاب الراديكاليون، عادة ما كان الخط الفاصل بين التعرض للرجم وبناء المدارس يبدو ضبابياً.

شهد ميدان السلوك المقبول على المستوى العام توسيعاً، بما في ذلك السلوك الجنسي؛ وهو ربما أدى إلى تزايد التجريب وتواتر السلوك الذي كان مأيذل يقع في عداد غير المقبول أو المنحرف، مما أسمهم بالتأكيد في تزايد رؤيته. وهكذا، فإن الثقافة الفرعية المتعلقة بممارسة المثلية الجنسية في الولايات المتحدة - حتى في مدینتی سان فرانسيسكو ونيويورك، اللتين أرستا هذا الاتجاه وتبادلتا التأثير - لم تبرز حتى بدأت السبعينيات؛ ولم تبرز كمجموعة ضغط سياسي في هاتين المدینتين إلا مع السبعينيات (Duberman et al., 1989, p. 460). ومع كل، فقد تثبتت الدلالة الأساسية لهذه التغيرات، سواء بشكل مباشر أو ضمني، في رفض التنظيم التاريخي القديم المتجذر للعلاقات الإنسانية في المجتمع، والتي عبرت عنها وأجازتها ورمزت إليها الأعراف والمحظوظات.

والأكثر دلالة أن هذا الرفض لم يتم باسم نمط آخر لتنظيم المجتمع، على الرغم من أن نزعـة الحرية كانت قد منحت تبريراً ايديولوجيـاً عبر أولئـك الذين شعروا بالحاجة إلى مثل هذه التسمـيات، وإنما باسم الاستقلال غير المحدود للرغبة الفردية. كان الافتراض يتمثل في عالم الفردية ذاتية التنظيم، التي جرى دفعها إلى نهاية حدودها. وتكمـن المفارقة في هذا الوضـع من حقيقة أن التمرـدات المضـادة للأعراف والقيـود شـارـكت في الافتراضـات الـتي تأسـسـ عليها المجتمع الاستهلاـكي، أو على الأقل الدـوافـعـ السيـكـولـوجـيـةـ الـتي وجـدهـاـ أولـئـكـ الـذـينـ كانواـ يـبـيـعـونـ السـلـعـ والـخـدـمـاتـ الاستهلاـكيـةـ أـكـثـرـ جـانـبـيـةـ لـلـمـشـتـرـيـنـ وـفـاعـلـيـةـ لـبـيعـ منـجـاتـهمـ.

كان من المفترض ضمنياً أن العالم يتكون من عدة بلايين من البشر، يحدوـهمـ سعيـهمـ لتحقيق رغـباتـهمـ الفـردـيـةـ، بماـ فيـ ذلكـ الرـغـباتـ الـتـيـ كانتـ حتـىـ ذلكـ الحـينـ محـظـورةـ أوـ مـوـادـوـعاـ لـلاـسـتـكـارـ، ولـكـنـهاـ أـصـبـحـتـ مـبـاحـةـ الآـنـ - ليسـ لأنـهاـ بـاتـتـ مـقـبـولةـ أـخـلاقـيـاـ، وإنـماـ لأنـهاـ كـانـتـ مـوـجـودـةـ مـنـ قـبـلـ وـقـامـ الـبعـضـ بـاشـبـاعـهـاـ.

وهـكـذاـ، فـحتـىـ التـسـعـيـنـيـاتـ كانتـ الـلـبـرـلـةـ الرـسـمـيـةـ قـاصـرـةـ عنـ تقـنـيـنـ المـخـدرـاتـ. وـاسـتـمـرـتـ المـخـدرـاتـ مـحـظـورـةـ، بـدرجـاتـ مـخـلـفـةـ مـنـ الشـدـةـ وـدـرـجـةـ عـالـيـةـ مـنـ الـلـفـاعـلـيـةـ. فـقدـ تـطـلـورـ، مـنـذـ السـتـيـنـيـاتـ، وبـسـرـعـةـ كـبـيرـةـ، سـوقـ ضـخـمـ لـلـكـوكـاـيـنـ، وـأـسـاسـاـ بـينـ

الطبقات الوسطى المزدهرة في شمال أفريقيا، ثم في أوروبا الغربية بعد ذلك بفترة وجiezة. وقد أدى ذلك، مثله مثل النمو العام الأبكر في سوق الهيروين (أساساً في أمريكا الشمالية)، إلى تحويل الجريمة، للمرة الأولى، إلى تجارة كبيرة (Arlacchi, 1983). pp. 215, 208)



وعلى هذا النحو، يمكن فهم الثورة الثقافية في القرن العشرين باعتبارها انتصاراً للفرد على المجتمع، أو بالأحرى تقليعاً للخيوط التي كانت في الماضي تغزل الإنسان في النسق الاجتماعي. ولم تكن الأنسنة الاجتماعية تتكون فحسب من العلاقات الفعلية القائمة بين البشر وأشكال تنظيمهم، وإنما أيضاً من النماذج العامة لهذه العلاقات، فضلاً عن الأنماط المتوقعة لسلوك الناس تجاه بعضهم البعض؛ فقد كانت أدوارهم موصوفة وإن لم تكن دائمةً مدونة. ومن ثم، نجد الشعور الجريح بعدم الأمان، عندما تنقلب الأعراف القديمة للسلوك أو تفقد منطقها، أو عندما تحدث حالة من عدم الفهم بين أولئك الذين شعروا بهذا الفقدان وأولئك الذين كانوا أصغر من أن يعرفوا أي شيء لم يجدوا إلا مجتمعاً متدنياً.

لقد قام باحث انتروبيولوجي برازيلي في الثمانينيات بوصف توتر رجال الطبقة الوسطى، المشبعة بشقاقة الأبيض المتوسط بشأن الشرف والعار. وقد واجه الحادثة التي كانت شائعة حينذاك، عندما تعرض له لصوص طلبوا أمواله وهددوه باغتصاب حبيبته. وفي ظل هذه الظروف، كان من المتوقع دائماً من "الجنتلمن" أن يدافع عن المرأة، إن لم يكن النقود، كثمن لحياته؛ فالمرأة تفضل الموت عن ملاقاة مصير يُقال عنه في الأمثال بأنه "أسوأ من الموت". ومع ذلك، لم يكن من المرجح، في الواقع المدن الكبرى في نهايات القرن العشرين، أن المقاومة يمكن أن تنقذ "شرف" المرأة أو النقود. وقد كان التسليم بمثابة السياسة العقلانية في مثل هذه الظروف، وذلك للحيلولة دون أن يفقد المعتدون صوابهم ويرتكبون حماقة حقيقة أو حتى جريمة قتل. أما بالنسبة لشرف المرأة، المُعرف تقليدياً بالبكارة قبل الزواج والإخلاص التام بعد الزواج، فما الذي كان يمكن أن يجرى تحديداً الدفاع عنه من جانب الرجال والنساء، على ضوء فرضيات السلوك الجنسي وواقع الممارسات التي كانت سائدة بين المتعلمين والمحترفين في الثمانينيات؟ ومع كل، وكما أوضحت دراسات الباحث الانثربولوجي، لا يثير

الدهشة أن ذلك لم يقلل من جراح المأزق، وهناك مواقف أقل تطرفاً يمكن أن تسفر عن حالة عدم أمان ومعاناة ذهنية - على سبيل المثال اللقاءات الجنسية العادبة. إن البديل لعادة قديمة،مهما كان غير معقول، يمكن أن يتحول لا لأن يصبح عادة جديدة أو سلوك عقلاني، وإنما إلى انتفاء كامل للقواعد، أو على الأقل عدم الاتفاق حول ما يجدر القيام به.

وفي غالبية أنحاء العالم، نجد أن الأنسجة الاجتماعية والعادات القديمة، رغم البخس من قيمتها عبر ربع قرن من التحول الاجتماعي والاقتصادي غير المتوازي، كانت متواترة، وإن كانت لم تصل بعد إلى التفسخ. كان ذلك من حسن طالع غالبية البشر، وخاصة الفقراء، طالما أن شبكة القرابة والجماعة والجيرة كانت جوهرية للبقاء الاقتصادي، وبوجه خاص لإحراز النجاح في عالم متغير. لقد كانت تبادر عملها، في العديد من أنحاء العالم الثالث، كتركيب يضم خدمات المعلومات، وتبادل العمالة، ومجمع للعمل ورأس المال، وأالية للإدخار، ونظام لضمان الاجتماعي. وبدون الأسر المتماسكة يصعب، بطبيعة الحال، تفسير النجاحات الاقتصادية لبعض أجزاء من العالم - مثل الشرق الآدنى.

أما في المجتمعات الأكثر تقليدية، فيمكن أن تظهر التوترات في الأساس بقدر ما أدى انتصار اقتصاد الأعمال التجارية إلى الانتقاد من مشروعية النظام الاجتماعي الذي كان مقبولاً حينذاك والمرتكز على التفاوت، ذلك أن الطموحات أصبحت أكثر مساواتية، كما اضحت المبررات العملية للتفاوت. ومن ثم، فإن ثروة الراجا الهندي (مثلها مثل الحصانة المعروفة إزاء الضرائب على ثروة العائلة المالكة البريطانية، والتي لم تواجه معارضة حتى التسعينيات) لم تتعرض للحسد أو الامتعاض من جانب رعاياها، في حين يمكن أن يتعرض الإنسان لذلك من جاره. لقد كان الأمراء الهنود ينتصرون إلى دورهم الخاص في النظام الاجتماعي - وربما حتى الكوئي - وكانت علامات دالة عليه؛ وهو الدور الذي كان من المعتقد أنه يصون عالمهم ويحقق استقراره، وبالتالي يضفي عليه رمزيته. وفي نمط مختلف إلى حد ما، نجد أن المميزات الكبيرة والحياة المترفة التي تتمتع بها ملوك الأعمال التجارية اليابانيين كانت غير مقبولة بدرجة أقل، طالما لم يكن يُنظر إليها كثروة مُخصصة فردياً، وإنما أساساً كلوائح الواقعهم الرسمية في الاقتصاد، بالأحرى مثل الحياة المترفة لأعضاء مجلس الوزراء البريطاني - سيارات الليموزين، والمساكن الخاصة، ... الخ - التي كان يتم سحبها في غضون ساعات قليلة بعد توقف أي منهم عن شغل موقعه. إن التوزيع الفعلى للدخول

في اليابان، كما نعرف، كان أقل تفاوتاً بدرجة كبيرة عما عليه الحال في المجتمعات الأعمالي بالغرب. ومع كل، فالمراقب للوضع الياباني في الشهادتين، حتى من بعيد، بالكاد ما يمكنه تجنب الخروج بانطباع أن هذا التراكم المحس للثروة الشخصية، أثناء سنوات الازدهار العظيم، وبروزه على المستوى العام، قد جعل التناقض أكثر وضوحاً بين ظروف حياة المواطن الياباني العادي في بيته - وهي أكثر تواضعاً عن حياة نظيره في الغرب - وبين ظروف حياة الياباني الثري، وربما للمرة الأولى لم يعُد أيّاً منهم يحظى بحماية كافية من جانب ما كان يُعتبر مميزات مشروعة تقترب بخدمة الدولة والمجتمع.

لقد خلقت عمود الثورة الثقافية في الغرب فوضى شديدة. وتبدو الحدود القصوى من هذا الانهيار أيسراً ووضوحاً في الخطاب الأيديولوجي العلنى لنهاية القرن في الغرب، وبوجه خاص في التصريحات العلنية التي، بينما لم تزعزع عملاً تحليلياً، قد صيفت من زاوية المفتقدات الأوسع انتشاراً. ويفكر المرء في تلك الحجة التي كانت شائعة في فترة ما لدى بعض الدوائر النسوية، أن عمل المرأة المنزلى يتبرأ حسابه (بل ودفع أجرته عند الضرورة) بسعر السوق؛ أو تبرير إجراء إصلاح في مجال الإجهاض، من زاوية "حق الاختيار" المجرد وغير المحدود للفرد (المرأة).<sup>(٥)</sup> وقد نال هذا الخطاب تشجيعاً نتيجة للتاثير المنتشر للإصدارات الكلاسيكية الجديدة، التي اتخذت في المجتمعات الغربية العلمانية مكان الثيولوجيا بصورة متزايدة، فضلاً عن تأثير فلسفة التشريع الأمريكية ذات الطابع الفردي المفرط (من خلال الهيمنة الثقافية للولايات المتحدة). كما وجد تعبيره السياسي في عبارة رئيسة الوزارة البريطانية مارجريت تاتشر: لا يوجد مجتمع، وإنما فقط أفراد.

ومع ذلك، ومهما كان الإفراط في النظرية، كانت الممارسة مُفرطة أيضاً بنفس القدر. وفي فترة ما من السبعينيات، اصطدمت الإصلاحات الاقتصادية في البلدان الأنجلو-ساكسونية (كما كان الباحثون يصطدمون على نحو دورى) بآثار التصنيع على المرضى العقليين أو ضعاف العقول. وقد نجحت هذه الإصلاحات في شن حملات لإخراج أكبر قدر منهم خارج دائرة الاحتجاز المرضى حتى "يتمتعوا بالرعاية في المجتمعات". ولكن مدن الغرب لم تعد تضم مجتمعات لرعايتهم، لا يوجد أقرباء، ولا يوجد من يعرفهم. كانت توجد فقط طرقات بعض المدن، مثل نيويورك، مليئة بالشحاذين الذين لا مأوى لهم، يحملون أكياساً بلاستيكية ويؤمنون ويتحدثون إلى أنفسهم. وإذا كانوا سعداء أو تعسوا الحظ (يتوقف الأمر على وجهة النظر)، فإنهم ينتقلون في

النهاية من المستشفيات التي طردتهم إلى السجون التي أصبحت، في الولايات المتحدة، بمثابة الوعاء الرئيسي للمشكلات المجتمعية في المجتمع الأمريكي، وخاصة قطاعه الأسود. وقيل أن ١٥٪ من كانوا نسبياً أكبر عدد من السجناء في العالم - ٤٢٦ سجينًا كل مائة ألف نسمة - عام ١٩٩١، كانوا من المرضى العقليين. (Walker, 1991; Hu, 1991, p. 32, Fig. 2.10).

لقد كانت الأسرة التقليدية والكنائس تقليدية التنظيم بما أكثر المؤسسات تعرضاً للتقويض في الغرب نتيجة للنزعة الفردية الجديدة؛ وقد تعرضتنا لانهيار كبير في الثلث الأخير من القرن. لقد تقوض، وبسرعة مذهلة، الأساس الذي كانت ترتكز عليه مجتمعات الكاثوليك الرومان. ففي مجرى أعوام الستينيات، انخفض حضور القدس في كوبيلك (كندا) من ٨٠٪ إلى ٧٠٪، كما انخفض معدل المواليد الفرنسي-الكندي عن المعدل المتوسط في كندا، رغم أنه كان أعلى منه في العادة (Bernier/Boily, 1986). إن تحرر المرأة - أو توخيًا لمزيد من الدقة، مطالب المرأة بشأن تنظيم المواليد، بما في ذلك الإجهاض وحق الطلاق - ربما أدى إلى تشييد أعمق حاجز بين الكنيسة وبين ما كان قد أصبح في القرن التاسع عشر المخزون الأساسي للتدبرين أي النساء (راجع: Cap-ital: وقد ازداد الأمروضوحًا في البلدان الكاثوليكية سيئة الصيت مثل إيرلندا وأيطاليا البابا، بل وحتى في بولندا - بعد سقوط الشيوعية. أما المهن المرتبطة بالكهنة، وغيرها من أشكال الحياة الدينية، فقد هبطت من أعلى برج الكنيسة؛ كما كان الحال بالنسبة للرغبة في حياة العزوبة، فعلياً أو رسمياً. وبإيجاز، وسواء للأفضل أو للأسوأ، توارت السلطة المعنوية والمادية للكنيسة على المتدينين داخل الثقب الأسود الذي افتح بين قواعدها الحياتية وأخلاقياتها وبين واقع سلوك أواخر القرن العشرين. كما انحدرت أيضًا، وحتى على نحو أسرع، الكنائس الغربية، التي كانت قبضتها على أعضائها أقل سطوة، بما في ذلك حتى بعض الطوائف البروتستانتية القديمة.

وربما كانت الآثار المادية المترتبة على تخفيف الروابط الأسرية التقليدية أقل خطورة. فكما رأينا، لم تحتفظ الأسرة بوضعها السابق فحسب - كونها أداة لإعادة إنتاج نفسها - وإنما أصبحت أيضًا أداة للتعاون الاجتماعي. وبهذه الكيفية، كان من الجوهرى الحفاظ على كل من الاقتصادات الزراعية والاقتصادات الصناعية المبكرة، أى المحلي والعالمي. ويرجع ذلك جزئياً إلى عدم تطور بنية رأسمالية لشخصية ملائمة قبل

أن يبدأ تمركز رأس المال ونهوض الأعمال الكبرى في توليد المؤسسة المتحدة الحديثة في نهاية القرن التاسع عشر - تلك "اليد المريئية" (Chandler, 1977) التي استكملت "اليد الخفية" للسوق<sup>(٦)</sup> وفقاً لطرح آدم سميث. ولكن سبباً أقوى كان يتمثل في أن السوق ذاته لم يحتاط لهذا العنصر المركزي في أي نظام خاص يستهدف الرابع، وتحديداً التروست<sup>(٧)</sup>: أو مكافأته القانوني: أداء التعاقد. وقد كان ذلك يتطلب إما سلطة الدولة (كما كان يعرفهاً جيداً مُنظّرو النزعة الفردية السياسية في القرن السادس عشر)، أو روابط القرابة أو الجماعة. وهكذا، كانت التجارة والعمليات المصرفية والتمويلات الدولية - وهي مجالات لأنشطة بعيدة مكانياً في بعض الأحيان، وذات عائد كبير، وغير أمنة بدرجة هائلة - تجري إدارتها بنجاح عن طريق كيانات أصحاب الأعمال الذين تربط بينهم صلات القرابة، ومن المفضل انتماهم لجموعات تتسم بتضامن ديني خاص - مثل اليهود، أو الكوبيكرز، أو الهوجونوتين<sup>(٨)</sup>. وفي الواقع، كانت مثل هذه الروابط مازالت، حتى في أواخر القرن العشرين، لا غنى عنها في الأعمال الإجرامية، والتي لم تكن تُرتكب ضد القانون فحسب، وإنما أيضاً خارج نطاق حمايتها. ففي وضع لا يوجد فيه أى شيء يمكن أن يضمّن التعاقدات، كانت القرابة وتهديد الموت هما فقط الضامنان. ولهذا، كانت أنجح عائلات المافيا في كالابري تتكون من مجموعة قوية من الأشقاء (Ciccone, 1992, pp. 361-62).

ومع كل، فإن هذه الروابط والتضامنات غير الاقتصادية التي تضم هذه الجماعات قد تقوضت الآن، كما حدث بالنسبة للنظم الأخلاقية التي سارت معها. وقد كانت هي الأخرى أكبر سنّاً من المجتمع البرجوازي الصناعي الحديث، لكنها شهدت أيضاً تعديلاً بحيث تُشكّل جزءاً جوهرياً منه. إن الألفاظ الأخلاقية القديمة التي تعبّر عن الحقوق والواجبات، والالتزامات المتبادلة، والخطيئة والفضيلة، والتضحية، والضمير، والثواب والعقاب، لم يُعد يمكن ترجمتها إلى اللغة الجديدة المتعلقة بالرضا المنشود. ولما لم تُعد هذه الممارسات والمؤسسات مقبولة كجزء من أسلوب تنظيم المجتمع الذي يربط الناس ببعضهم البعض ويضمّن التعاون الاجتماعي وإعادة الانتاج، تلاشت أغلب قدرتها على هيكلة حياة الإنسان الاجتماعية. لقد تقلّصت إلى مجرد تعبيرات عن تفضيلات الأفراد، والمزاعم المتعلقة بضرورة إقرار القانون بسيادة هذه التفضيلات.<sup>(٩)</sup> لقد كان التهديد بعدم اليقين وعدم القدرة على التنبؤ قائماً. لم تُعد إبرة البوصلة

(٦) التروست : الاتحاد الاحتكاري بين الشركات - المترجم

(٧) الهوجونوت (Huguenot) : البروتستانطي الفرنسي - المترجم.

تشير نحو الشمال، وأصبحت الخرائط عديمة الجدوى. هذا ما ازداد وضوحاً في أغلب البلدان المتقدمة بدءاً من الستينيات وما بعدها. وقد وجد تعبيره الايديولوجي في مجموعة من النظريات - من أقصى الليبرالية للسوق الحر إلى "ما بعد الحادثة" وما شابهها - والتي حاولت تجنب مشكلة الحكم والقيم برمتها، أو بالأحرى تقليلها إلى قاسم مشترك منفرد لحرية الفرد غير المقيدة.

بداية، بطبيعة الحال، بدت ميزات الليبرالية الاجتماعية في جملتها ضخمة بالنسبة للجميع ماعدا الرجعيين المتأصلين، وبدت تكلفتها محدودة؛ كما لم يكن بارياً أنها تنطوي على الليبرالية الاقتصادية. إن المَّعظم للإذدھار الذي غمر سكان المناطق المُفضلة في العالم، وتعزز من خلال نُظم الضمان الاجتماعي العامة التي كانت شاملة وسخية، كان يزيل حطام التفسخ الاجتماعي. لقد كان الوالد المنفرد (مثلت الأمهات المُنفردات الأغلبية الساحقة) مازال، بدرجة كبيرة، أفضل ضمان لحياة الفقر، لكنه في دول الرفاه الحديثة كان ضماناً أيضاً للحد الأدنى من الرزق والمأوى، أما المعاشات وخدمات الرفاه، وفي النهاية عنابر الشيخوخة، كانت تتولى رعاية كبار السن المنعزلين، الذين ليس بمقدور أبنائهم رعايتهم، أو لم يعد أبناؤهم يشعرون بالالتزام نحو رعايتهم، فيشيخوختهم. لقد بدا طبيعياً التعامل مع الاحتمالات الطارئة الأخرى التي كانت يوماً ما جزءاً من النظام الأسري بنفس الطريقة؛ على سبيل المثال بنقل عبء رعاية الأطفال من الأم إلى دور الحضانة، وهو الأمر الذي طالب به منذ أمد بعيد الاشتراكيون الذين كانوا يعنون باحتياجات الأمهات اللاتي يكسبن رزقهن.

لقد كانت كل من الحسابات العقلانية والتطورات التاريخية تشير إلى نفس الاتجاه، مثلها مثل مختلف أنواع الايديولوجية التقديمية، بما يشتمل على كل أولئك الذين انتقدوا الأسرة التقليدية على اعتبار أنها أدت إلى تأييد خضوع المرأة أو الأبناء - سواء الأطفال أو المراهقين - أو على أساس اعتبارات المساواة العامة. ومن الناحية المادية، كانت الإمدادات العامة تتتفوق بدهاء على ما يمكن أن توفره الأسر لنفسها من إمدادات، إما بسبب الفقر أو لأسباب أخرى. إن خروج الأطفال في الدول الديمقراطية من الضروب العالمية أكثر صحة وأفضل تغذية بالفعل مما قبلها يمكن أن يثبت النقطة المطروحة. كما يؤكدنا أيضاً أن دول الرفاه كانت أغنى البلدان عند نهاية القرن، رغم ما تعرضت له من هجمات متصلة من جانب حكومات السوق الحر وايديولوجيتها. وعلاوة على ذلك، كان مالوفاً لدى السوسيولوجيين وعلماء الاجتماعيين أن دور

القرابة قد تقلص ، بشكل عام، مع تزايد أهمية المؤسسات الحكومية". وسواء للأفضل أو للأسوأ، فقد انحدر مع "نمو النزعة الفردية الاقتصادية والاجتماعية في المجتمعات الصناعية" (Goody, 1968, p. 402-3). وبإيجاز، وكما كان متوقعاً منذ فترة طويلة، فقد كانت العلاقات بين أفراد الجماعة الواحدة (Gemeinschaft) تفسح المجال أمام العلاقات بين الأفراد في المجتمع على نطاق واسع (Gesellschaft): مجتمع الجماعة يُفسح المجال أمام الأفراد المرتبطين ببعضهم في المجتمع العام الأكبر.

يصعب إنكار الميزات المادية التي كانت، وما زالت، تميز الحياة في عالم يشهد انحدار الجماعة والأسرة. وقد أدرك فلاليون حجم اعتماد المجتمع الصناعي، حتى منتصف القرن العشرين، على التكافل بين الجماعة وقيم الأسرة القديمة وبين المجتمع الجديد؛ ومن ثم أدركوا كيف كان مُرجحاً أن تبدو آثار التفسخ السريع المذهل. وقد بدا ذلك واضحاً في مصر-ايديولوجية الليبرالية الجديدة، عندما أدخل ذلك المصطلح المروع - "الطبقة السفلية" - أو أعيد إدخاله، إلى المفردات الاجتماعية السياسية حوالي عام ١٩٨٠.<sup>(٨)</sup> لقد كان أولئك هم الذين - في مجتمعات السوق المتتطور بعد نهاية مرحلة التوظيف الكامل - لم يتمكنوا من النجاح، أو لم يرغبو، في بناء حياة لهم ولأسرهم في اقتصاد السوق (حيث كان نظام التأمين الاجتماعي بمثابة المكمل له)، الذي بدا أنه يعمل على نحو كاف بالنسبة لثلثي غالبية سكان هذه البلدان في جميع الأحوال حتى التسعينيات (ومن هنا أتت تسمية "مجتمع الثلثين" التي صاغها في ذلك العقد السياسي الديمقراطي الألماني بيتر جلوتز Peter Glotz). إن ذات الكلمة "الطبقة السفلية، مثلها مثل "العالم السفلي"، كانت تنطوي على استبعاد من المجتمع العادي". لقد اعتمدت هذه "الطبقات السفلية" ، من الناحية الجوهرية، على الإسكان العام والرفاه العام، حتى عندما كانت تستكمل دخلها عن طريق عمليات الإغارة على الاقتصاد الأسود أو الرمادي، أو عن طريق "الجريمة" - أي تلك الأجزاء من الاقتصاد التي لا تصل إليها النظم المالية الحكومية. ومع كل، نظراً لأن هذه الشريان هي التي شهدت تحطيم التماسك الأسري بدرجة كبيرة، فحتى غاراتها على الاقتصاد غير الرسمي - سواء بصورة قانونية أو غير قانونية - كانت هامشية وغير مستقرة. وكما ثبت العالم الثالث وهجراته الضخمة الجديدة إلى بلدان الشمال، حتى الاقتصاد غير الرسمي لمدن الأكواخ والمهاجرين بصورة غير قانونية لم يكن يسير على نحو جيد إلا من خلال شبكات القرابة.

لقد أصبحت القطاعات الفقيرة من السكان الوطنيين الزنوج بالحضر في الولايات

المتحدة، أى غالبية زنوج (Negros) الولايات المتحدة<sup>(٩)</sup>، مثلاً على "طبقة سفلية": كيان من المواطنين المستبعدين عملياً من المجتمع الرسمي ولا يشكلون أى جزء فعلى منه، أو - كما في حالة كثير من شبابه الذكور - من سوق العمل. وفي الواقع، كان كثيرون من شبابه، وخاصة الذكور، يعانون أنفسهم ينتهيون عملياً إلى مجتمع خارج عن القانون أو ضد المجتمع. ولم تقتصر الظاهرة على من لديهم لون جلدي ما. فمع انحدار وسقوط صناعات القرن لتتوظيف العمالة (القرن التاسع عشر وباكرة القرن العشرين)، بدأ هذه "الطبقات السفلية" في الظهور في عدد من البلدان. ومع كل، ففي مشروعات الإسكان - التي تولت تشييدها السلطات العامة المسئولة اجتماعياً عن كل الذين لا يستطيعون تدبير نفقات سوق إيجارات المساكن أو شرائها، ولكنها مسكونة الآن من جانب أعضاء "الطبقة السفلية" - لم تكن توجد حتى جماعة، بل قدر قليل كاف من التبادل المتواصل بين الأقرباء. وحتى "الجبرة"، وهي البقية الباقية من أثار الجماعة، كانت بالكاد ما تقدر على تحمل الشعور بالخوف - بشكل عام من المراهقين الذكور الجففة الذين أصبحوا الآن يحملون أسلحة على نحو متزايد - ذلك الخوف الذي تفشى في تلك الأذغال الهوبيسية.<sup>(١٠)</sup>

و فقط في تلك الأجزاء من العالم، التي لم تدخل بعد ذلك إلى الكون الذي يعيش فيه البشر جنباً إلى جنب وإنما ليس ككائنات اجتماعية وإنما ك مجرد أفراد، عاشت الجماعة إلى درجة ما من خلال تنظيم اجتماعي ما، رغم أنه كان شديد الفقر بالنسبة لغالبية البشر. من الذي يستطيع أن يتحدث عن "طبقة سفلية" تمثل أقلية في بلد مثل البرازيل، حيث كان ٢٠٪ من سكانه في منتصف الثمانينيات تحصل على ٦٠٪ من دخل بلد़هم، في حين كان ٤٪ في الواقع يحصلون على ١٠٪ أو حتى أقل؟ UN World Social Situation, 1974, p. 84). لقد كانت حياة تتسم، بشكل عام، بالتفاوت في المكانة وفي الدخل. ومع ذلك، كانت، بالنسبة للسواد الأعظم، ماتزال تخلو من عدم الأمان الذي يتخلل حياة الحضر في المجتمعات "المتقدمة"، التي تفككت أوصال دلائلها للسلوك وحل محلها فراغ غير يقيني. وتتمثل المفارقةحزينة للقرن العشرين (نهاية القرن) - بكل المعايير القابلة للقياس بشأن الرفاه الاجتماعي والاستقرار - في أن الحياة في ايرلندا الشمالية - التي كانت تشهد انتكاساً اجتماعياً وإن كان ذي بذلة تقليدية، فضلاً عن البطالة وبعد عشرين سنة متصلة مما يشبه الحرب الأهلية - كانت أفضل، بل وأكثر أمناً بالفعل من الحياة في أغلب المدن الكبرى بالملكة المتحدة.

إن مأساة انهيار التقاليد والقيم لا تكمن كثيراً في معوقات الحياة بدون الخدمات

(٩) نسبة إلى الفيلسوف الانجليزي توماس هوبس (Thomas Hobbes) - المترجم.



Donna

الاجتماعية والشخصية التي كانت توفرها سابقاً الأسرة والجماعة. لقد كان يمكن إيجاد ما يحل محلهما في دول الرفاه المزدهرة، رغم أن ذلك لا يصدق على المناطق الفقيرة بالعالم، حيث أغلبية البشر ما تزال تمتلك القليل لتعتمد عليه ماءدا القرابة والمناصرة، والعنون المتداول (فيما يتعلق بالقطاع الشيعي من العالم، راجع الفصلين ١٢ و ١٦). ولكنها تكمن في التفسخ الذي حل بكل من النُّظم القديمة للقيمة، والعادات والتقاليد التي سيطرت على السلوك الإنساني. لقد كانت هذه الخسارة محسوسة. وقد انعكست في نهوض ما أصبح يسمى (مرة أخرى في الولايات المتحدة، حيث أصبحت الظاهرة ملحوظة منذ نهاية الستينيات) "سياسات الهوية"، وعادة ما تكون عرقية/قومية أو دينية، وذات حركات نضالية تتوجه نحو الماضي وتسعى لاستعادة عصر ماض افتراضي يتسم بنظام غير إشكالي وبالأمان. لقد كانت هذه الحركات بمثابة صرخات تطلب المساعدة أكثر من كونها حركات ذات برامج - إنها صرخات تسعى إلى "جماعة" تنتهي إليها في عالم من المفارقات؛ وإلى أسرة تنتهي إليها في عالم من الانعزal الاجتماعي؛ وإلى ملاد ما في الآخرash. إن كل مراقب واقعي، إضافة إلى أغلب الحكومات، كان يعرف أن الجريمة لم تتخلص أو تصبح تحت السيطرة بإعدام المجرمين أو بالردع من خلال أحكام قضائية طويلة؛ ولكن كل سياسي كان يعرف القوة الضخمة المشوبة بالعاطفة، سواء أكانت عقلانية أو لم تكن، للمطلب الجماهيري لدى المواطنين العاديين بشأن معاقبة كل من هو ضد-اجتماعي.

لقد كانت تلك هي المخاطر السياسية للأنسجة الاجتماعية ونُظم القيمة القديمة والبالية والمنهارة. ومع كل، ومع تقدم أعوام الثمانينيات، أصبح واضحاً بتزايـد - بشكل عام في ظل رأـيـةـ السيـادةـ الكـاملـةـ لـلـسـوقـ - أنها استمرـتـ أيضاًـ كـخطـرـ يـواجهـ الاقتصادـ الرـأسـمـالـيـ الـظـافـرـ.

وعلى الرغم من أن النـظامـ الرـأسـمـالـيـ مـبنـىـ عـلـىـ عمـلـيـاتـ السـوقـ، فقد اعتمد على عدد من التـنزـعـاتـ لا تـرـتـطـبـ بـصـورـةـ جـوـهـرـيـةـ بـالـسـعـىـ نـحـوـ مـصـلـحةـ الفـردـ التـىـ، كانت وفقـاـ لـآـدـمـ سـمـيـثـ، وـقـوـدـاـ لـمـحـركـهاـ. لقد اعتمد النـظامـ الرـأسـمـالـيـ عـلـىـ "ـعـادـةـ الـعـملـ"ـ التـىـ افترضـ آـدـمـ سـمـيـثـ أـنـهـ إـحـدىـ الدـوـافـعـ الـأـسـاسـيـةـ لـلـسـلـوكـ الـبـشـرـيـ؛ـ وـعـلـىـ اـسـتـعـادـ الـبـشـرـ تـأـجـيلـ إـلـيـشـبـاعـ أـوـ الرـضاـ الفـورـيـ لـفـتـرـةـ طـوـيـلـةـ،ـ أـيـ الـادـخـارـ وـالـاستـثـمـارـ لـلـفـوزـ بـالـكـافـافـةـ فـيـ الـمـسـتـقـبـلـ؛ـ وـعـلـىـ الـفـخـرـ بـالـانـجـازـ؛ـ وـعـلـىـ عـادـاتـ الـشـفـقـةـ الـمـتـبـادـلـةـ؛ـ وـعـلـىـ غـيرـ ذـلـكـ منـ السـلـوكـيـاتـ التـىـ لـمـ تـكـنـ مـتـضـمـنـةـ فـيـ زـيـادـةـ مـنـافـعـ أـيـ فـرـدـ زـيـادـةـ عـقـلـانـيـةـ إـلـىـ الـحدـ الـأـقـصـيـ.ـ لـقـدـ أـصـبـحـتـ الـأـسـرـةـ جـزـءـاـ لـيـتـجـزـأـ مـنـ الرـأسـمـالـيـةـ الـمـبـكـرـةـ،ـ ذـلـكـ أـنـهـ أـمـدـهـاـ

بعد من تلك الدوافع، ويصدق نفس الشئ على "عادة العمل": عادات الطاعة والولاء، بما فيها الولاء لدراء الشركة، وغيره من أشكال السلوك التي لم تتمكن بسهولة من التاقلم داخل نظرية الاختيار العقلاني المركزة على الزيادة القصوى. وبمقدور الرأسمالية أن تعمل في ظل غياب تلك الدوافع، ولكنها في هذه الحالة تصبح غريبة وإشكالية، حتى بالنسبة لرجال الأعمال أنفسهم. وقد حدث ذلك خلال "موضة" قرنية "الاستيلاء" على شركات الأعمال، وغير ذلك من المضاربات المالية التي اكتسحت الأحياء المالية في البلدان ذات السوق الحر المفتوح مثل الولايات المتحدة وبريطانيا في الثمانينيات، والتي حظمت عملياً جميع الروابط بين السعى نحو الربح وبين الاقتصاد كنظام للإنتاج. ولهذا السبب، فإن البلدان الرأسمالية التي لم تنس أن النمو لا يتحقق بزيادة الأرباح لحدها الأقصى فحسب، (المانيا، واليابان، وفرنسا)، قد جعلت من هذه الغارات أمراً عسيراً أو مستحيلاً.

لقد أشار كارل پولانى - بعد أن أجرى مسحاً حول بقايا حضارة القرن التاسع عشر أثناء الحرب العالمية الثانية - إلى أن الفروض التي بُنيت عليها كانت استثنائية وغير مسبوقة: أي النظام العالمي ذاتي التنظيم للأسوق. ودخل في جدل مع أطروحة آدم سميث حول "النزعة الطبيعية نحو المقايسة، ومبادلة شئٍ باخر قائلاً إنها" قد ألهمت "نظاماً صناعياً ..... انطوى، عملياً ونظرياً، ومؤكداً على أن الإنسان كان مسيطرًا في كل أنشطته الاقتصادية، إن لم يكن أيضاً في مجالاته السياسية والفكريّة والروحية، من خلال تلك النزعة الطبيعية المعينة" (Polanyi, 1945, pp. 50-51). ومع ذلك، فقد بالغ پولانى في منطق الرأسمالية في عصره، تماماً كما بالغ آدم سميث في مدى ما يمكن أن يؤدي إليه السعى من جانب الجميع، إذا ما أخذ في ذاته، نحو مصلحاتهم الاقتصادية من زيادة تلقائية في ثروة الأمم.

وكما نُسلِّم جدلاً بالهواء الذي تتنفسه و يجعل جميع أنشطتنا ممكنة، تُسلِّم الرأسمالية بالناخ الذي تعمل فيه وتوارثته من الماضي. ولكنها اكتشفت فحسب كم كان الأمر جوهرياً عندما أصبح الهواء ضئيلاً. وبعبارة أخرى، نجحت الرأسمالية لأنها لم تكن رأسمالية فقط. لقد كان أقصى الربح والتراكب شرطين ضروريين لنجاحها، ولكنهما غير كافيين. لقد كانت الثورة الثقافية في الثلث الأخير من القرن هي التي بدأت إحداث التأكيل في الأصول التاريخية الموروثة لدى الرأسمالية، وتبين صعوبات العمل بدون هذه الأصول. إنها السخرية التاريخية لليبرالية الجديدة - التي أصبحت "موضة" في السبعينيات والثمانينيات، وأذرت بقايا النظم الشيوعية - أن انتصرت في ذات اللحظة التي كفت فيها عن أن تكون مقبولة كما كانت تبدو سابقاً. لقد استحق

السوق الانتصار عندما لم يعُد من الممكن إخفاء وجهه العارى وعدم كفايته. إن القوة الأساسية للثورة الثقافية كانت محسوسة، بطبيعة الحال، فى "اقتادات السوق الصناعي" ، التي اتخذت طابعاً حضرياً، وال المتعلقة بجوهر الرأسمالية القديم. ومع كل، وكما سترى، فإن القوى الاقتصادية والاجتماعية الاستثنائية التى تم إطلاقها فيما بعد خلال القرن العشرين قد تحولت هي الأخرى إلى ما أصبح يسمى الآن "العالم الثالث".

### الهوامش

- (١) من بين سوق " المنتجات الشخصية " العالمي في عام ١٩٩٠، كان ٣٤٪ يقع في أوروبا غير الشيوعية، و ٣٠٪ في شمال أمريكا، و ١٩٪ في اليابان. أما باقى سكان العالم، وتبلغ تسببتهم ٨٥٪، فقد اقتسموا (الأندية منهم) ٧٦-١٦٪ (Financial Times, 11/4/1991).
- (٢) بدأ الشبان في أتون القيام بذلك لدى نهاية الخمسينيات، وفقاً لاذاب رئيس مؤسسة تلك التخبة.
- (٣) كان شيكو ببورك دي هولندا (Chico Buarque de Holanda) الشخصية الرئيسية في مجال موسيقى الپوب البرازيلية؛ وهو ابن المؤرخ التقديمي البارز الذى كان شخصية مرکزية في الصحافة الفكرية الثقافية لبلده في الثلاثينيات.
- (٤) ومع ذلك، لم يكن هناك ما يضاهى إحياء أيديولوجية واحدة تؤمن بأن العمل التلقائي، غير المنظم، غير السلطوي، والمنادى بالحرية يمكن أن يتسبب في خلق مجتمع جديد وعادل، وبلا دولة – وتحديداً فوضوية باكونيين أو كروبيوتكيين؛ حتى على الرغم من توافق ذلك، على نحو أوثق، والأذكار الفعلية لدى الطلاب التمردين في السبعينيات والستينيات أكثر من الماركسية التي كانت منتشرة حينذاك.
- (٥) ينبغي تمييز مشروعية أي زعم عن الأطروحات المستخدمة للتبريره. فالعلاقة بين الزوج والزوجة والابناء في الأسرة المعيشية لا تقتضي بائن حال العلاقة بين المشتري والبائع في السوق، حتى وإن كانت سوًاءً وطنية ويسعد نفس الشئ على قرار الخلفة، حتى وإن كان من طرف واحد؛ فهو قرار يتعلق على وجه الحصر بالفرد الذي يتخذه. وتنقق هذه العبارة البديهية اتفاقاً تاماً مع الرغبة في تغيير الدور المنزلي للمرأة، أو مع تأييد حق الإيجاض.
- (٦) إن النموذج العملياتي للشركة الكبرى فعلياً قبل عصر الرأسمالية المتحدة "رأسمالية الاحتكار" لم يكن مشتق من خبرة العمل الخاص، وإنما من بيروقراطية الدولة أو البيروقراطية العسكرية – مثلًا، ذى موظفي السلك الحديدي. وفي الواقع، عادة ما كان، وبينما ينفي أن يكون، خاضعاً لإدارة الدولة المباشرة أو إلى سلطات عامة أخرى غير ربحية، مثل خدمات البريد وأغلب الخدمات البرقية والتلفونية.
- (٧) هذا هو الفارق بين لغة "الحقوق" (القانونية أو الدستورية)، التي أصبحت مرکزية بالنسبة لمجتمع النزعة الفردية غير الخاضعة للسيطرة، في كافة الحالات بالولايات المتحدة ، وبين اللغة الاصطلاحية الأخلاقية القديمية التي مثلت خلالها الحقوق والالتزامات جانبي نفس العملية.
- (٨) لقد كانت الفضالة هي المكافئ لهذا المصطلح في بريطانيا في القرن التاسع عشر.
- (٩) لقد كان الوصف المفضل على المستوى الرسمي في فترة كتابة هذا الفصل هو "الأميركيون الأفارقة". ومع ذلك، تتغير هذه الأسماء - ظهرت خلال حياة الكاتب تغيرات عديدة ("الملونون"، "الزنوج"، "السود") - وسوف يستمر هذا التغير. ولقد استخدمت المصطلح الذى ربما يكون أكثر تداولاً عن أي مصطلح آخر بين أولئك الذين يرغبون في احترام أصول العبيد الأفارقة في الأمريكتين.

## شهادة

# دافعت عن قيثارتى\*

### فريدة النقاش

حين تأملت في تجربتي ككاتبة صحفية على مدى أربعين عاما وجدت أن قضية حرية التعبير ومساحتها هي الأكثر ملزمه لهذه التجربة والأصدق تعبيراً عنها. فمنذ بدأت عملي الصحفي محررة في القسم الخارجي في وكالة أنباء الشرق الأوسط، حيث تلقيت تدريبي على يد أستاذى الراحل "مصطفى كمال منير"، وحتى استقر بي المقام في جريدة "الأخبار" اليومية حتى هذه اللحظة ظل وضعى المهني مرتبطاً باتساع مساحة الحرية في البلاد أو ضيقها.

فبعد أن عملت محررة - مترجمة في القسم الخارجي بوكالة أنباء الشرق الأوسط لثلاث سنوات ، وأصبحت أجيد عملي وأحبه صدر قرار مفاجئ بتنقل مجموعة من الصحفيين من الوكالة - وأنا منهم - إلى وظائف حكومية غير صحفية، وساعدتها شعرت بندم شديد لأننى قبل أن أتحقق بالوكالة مع عدد كبير من زميلاتي وزملائي خريجى قسم الأدب الإنجليزى بجامعة القاهرة كنت قد نجحت فى امتحانى بالإذاعة مذيعة ومترجمة ولكننى فضلت الوكالة.

استخدمنا وساطات كثيرة كى نعود لعملنا الذى أحببناه وعدنا ، وبعد أشهر قليلة

\* قدمت هذه الورقة كشهادة في ندوة : " المرأة والكتابة" في مؤتمر لاتحاد كتاب المغرب في مدينة " أسفى".

وكنت قد كتبت ثلاثة مقالات في النقد الأدبي في جريدة الجمهورية غضب مبني الروائي الراحل "إحسان عبد القدس" لأنني انتقدت في أحدها صورة المرأة في أدبه . ولأنني كنت قد تخرجت قبل سنة واحدة في الجامعة كان "إحسان" يقول لكل من يلقاءه إن أحداً آخر كتب المقال انتقاماً منه ووضع اسمى عليه ، وإلى وقت قريب كنت أحافظ بقصاصه كتب عليها الشاعر الراحل "صلاح جاهين" كلمات إعجاب قوية بما كتبت عن "إحسان".

انتقلت إلى جريدة الجمهورية عام ١٩٦٧ ، وبعد أشهر وقعت هزيمة يونية وجرى فرض حالة الطوارئ والرقابة على الصحف ، وبعد عام واحد طلبوا مني - بشكل مهذب - أن أمتنع عن الكتابة ، وإذا كتبت سوف ينشرون ما أكتب - بعد مراقبته - بدون توجيهي.

وبعد سنوات قليلة وتحديداً عام ١٩٧٢ نقلت عن الإنجليزية مسرحية "الطريق" للكاتب النيجيري "وول سوينكنا" وسجلاها البرنامج الثاني للإذاعة فعلاً وهو البرنامج الثقافي الذي التف حوله المثقفون ، وبعد أيام أبلغني المسئول عن البرنامج أن اسمى قد ورد في قائمة للممنوعين من التعامل مع الإذاعة ، وكان الرجل كريماً فاذاع المسرحية مع مقدمتي لها دون اسمى لكنه صرف لي مكافأة عنها. وفي سنة ١٩٧٣ كنت واحدة من الذين فصلتهم لجنة النظام بالاتحاد الاشتراكي (الحزب الواحد في ذلك الحين) من عملهم ومنعهم من دخول مقار الصحف وطلبت شطبهم من جدول نقابة الصحفيين. ولكن حركة مواجهة قوية عطلت تنفيذ عمليات الفصل الواسعة وجمدتتها ، وأنذر أني أسهمت مع زملائي المطرودين في تحرير مجلة حائط علقناها في مقر النقابة وكانت موضوعاً للتندر احتوت نصوصاً وأشعاراً ساخرة وتحليلاً سياسياً شاملأً للوضع . وعدنا جميعاً إلى عملنا قبل أكتوبر ١٩٧٣ بأسبوع واحد.

وواصلت كتابة النقد الأدبي والمسرحى في جريدة الجمهورية ومجلة "المسرح"

المصرية ومجلات " الأداب " و " البلاغ " و " الحرية " في بيروت ، وتابعت بعض مهرجانات المسرح العالمية والعربية وال محلية و تخصصت في النقد المسرحي ، إلى أن فوجئت ذات صباح في مارس ١٩٧٥ باسمى واسم زوجي " حسين عبد الرازق " منشورين في الصحف وقد تم نقلنا بقرار جمهوري من جريدة الجمهورية إلى جريدة " الأخبار " وكلتيهما مملوكتين للدولة وكانت الصحف كلها في ذلك الحين مملوكة للدولة .

وكانت قبل أسبوع واحد من قرار النقل هذا قد كتبت مقالاً نقدياً في جريدة الجمهورية عن مسرحية " عبد الرحمن الشراقي " " النسر الأحمر " وقلت إنها تتضمن دعوة للانقلاب على العرب والمصلح مع إسرائيل .

وبعد مفاوضات مضنية مع المسؤولين عن جريدة " الأخبار " وكنا في خصومة سياسية مع الأخوين " مصطفى وعلى أمين " خصصوا لي عموداً أسبوعياً في صفحة المسرح كثيراً مامنعني المسؤول عن الصفحة نشره .

وأخذت أكتب نقداً مسرحياً وأدبياً في جريدة " السفير " ال بيروتية التي كان آخر مانشرت فيها تحقيقاً من ثلاثة حلقات عن الغناء السياسي في مصر أفردت فيه مساحة واسعة لظاهره الشيخ إمام عيسى وأحمد فؤاد نجم وعزبة بلبع مع كل من عدلي فخرى و محمد حمام ، وبعد أيام من نشر التحقيق وجدت إسمى منشوراً في الصحف مع قائمة مجددة من الكتاب والصحفيين المنومعين من السفر والكتابة بقرار من المدعى الاشتراكي وكان الشاعر " أحمد فؤاد نجم " ضمن القائمة وكتب تصريحاته الشهيرة " منوع من السفر " والتي غناها " الشيخ إمام " بعد ذلك ، ودار التحقيق معى في مكتب المدعى الاشتراكي حول موقفى من " كامب ديفيد " كما ظهر في هذه المقالات عن الغناء ولدهشة المحقق قلت إننى فعلأً أعارض اتفاقيات كامب ديفيد واتفاقية الصلح المنفرد مع إسرائيل وأعمل ضدتها ، ويبدو أنه كان يتوقع منى إنكار موقفى لأبرئ نفسي .

كانت جريدة "الأهالى" قد صدرت عام ١٩٧٨ بعد تأسيس حزب التجمع بعامين ، وكتبت فيها كثيراً لكننى وقعت بعده أسماء مستعاراً لأن التعليمات الحكومية كانت تقضى بفصل من يكتب في صحف المعارضة إذا كان يعمل في صحيفة حكومية.

ولم تكن "الأهالى" التي صدرت بتبرعات أعضاء الحزب كتابة ومالاً والتى تعرضت لللاحقات المستمرة تستطيع أن توفر رواتينا وصادرت الحكومة "الأهالى" إلى أن منعتها الحكومة من المتصور في نهاية العام الذى صدرت فى أوله (فبراير ١٩٧٨ - أكتوبر ١٩٧٨).

وقوصلت كتابة عمودى عن المسرح في جريدة الأخبار بين الحين والآخر ، وتوقفت عن الكتابة لبعض أسباب لأن المحرر لم يكتفى بحذف فقرات مما أكتبه وإنما أخذ يضيف جملًا ومعان جديدة لما أكتب.

واعتقلت في عام ١٩٧٩ بتهمة ترويج مواد أدبية معادية للصهيونية ونشرها في الخارج.

ثم جرى اعتقالى ١٩٨١ بتهمة المشاركة في تأسيس الحزب الشيوعى ، وأثناء اعتقالى وقعت حوادث ماسمى بعد ذلك بالفتنة الطائفية وصدر قرار بالتحفظ على متهمة بالمشاركة في هذه الفتنة التي وقعت وكنت في السجن وأصبحت واحدة من ١٥٣٦ معتقلة ومعتقلة سياسياً.

وبينما كنت في السجن صدر كتابي "السجن الوطن" في بيروت وكنت قد كتبته حين سجنت سنة ١٩٧٩، وفي السجن صدر قرار بتنقلى مرة أخرى من جريدة "الأخبار" إلى مصلحة الاستعلامات ضمن عدد من الكاتبات والصحفيات والصحفيين وهي القرارات التي جرى إلغاؤها بعد مقتل "الساسات".

وبعد خروجي من السجن كنت أكتب - دون انتظام - عموداً عن المسرح في جريدة "الأخبار" حتى عام ١٩٩٠ حتى صدر قرار مجهول لم أعرفه حتى الآن بمعنى

نهائياً من الكتابة في "الأخبار" التي أنا رسمياً محررة فيها.

أسوق هذا الحديث عن قضية الحريات في بلادنا بخاصة حرية التفكير والتعبير قبل أن أتحدث عن تجربتي في الكتابة كامرأة فالكتابات عامة كفعل تحرر وكتابة النساء بخاصة تأثرت في واقعنا بظروف لاندخل لها البتة بالفن أو مدارسه ، وإن كانت المدارس الأدبية قد حاولت أن تتحايل على ظروف القمع بالإيفال في الرمزية. والظروف التي عرضت لها في الكلمات السابقة واجهت الكتاب والكاتبات معاً، وإن كانت المرأة الكاتبة في تجربتي قد اتھمت بأن رجلاً يكتب لها أو على الأقل يوحى لها وهو ماواعضعني طويلاً في حالة دفاع عن النفس ساعية بغضب لإثبات ذاتي لأن الاتهام يعني أنني عاجزة عن أن أقدم كتابة أصيلة خاصة بي ومع ذلك فقد كان هذا الاتهام يولد في شعوراً خفياً بالرضا لأن الاتهام يعني أن ما أكتبه جدير في ذاته بالقراءة طبقاً للمواصفات السائدة.

وكنت أتصوّز أن هذه الخبرة تخصّننا نحن في مصر في سنوات السبعينيات حين بدأت أنا الكتابة وكانت الأصوات النسائية قليلة نسبياً ، فإذا بنا في نهاية القرن العشرين نفاجأ بأن كاتبة لها عالمها ولغتها ورواياتها هي "أحلام مستغانمي" تتعرض لحملة ظالمة تتهماها بأن رجلاً كاتباً هو الذي وضع لها نصوصها أو أنها قد سطت على أعماله ونسبتها لنفسها ..

أحلام التي تتساءل في وضعها الجزائري الملتبس والفاجع : هل تستحق هذه الصفحة التي سوبتها أن أموت من أجلها؟

وأحياناً مايرى بعض الكتاب الرجال في أعمال النساء نوعاً من المزاحمة ، ويشعر آخرون بالخوف حين تتحقق المرأة الكاتبة لأن في تحققها إفلاتاً من الوصاية والفحax المنصوبة للسيطرة الأبوية عليها باسم حمايتها.

ورغم أنني لم أكتب رواية وإنما كتبت عدداً محدوداً من القصص القصيرة فإن الصيغة التي اخترتها أو توافرت المساحات لها هي صيغة اليوميات التي تعبر جداً

فى كتابتها عكس ما يتصور البعض ، ورغم أن رسالتها كانت تملؤنى وكان بوسعي دائمًا أن أقدمها بصورة مباشرةً مبasherةً جداً وقويةً لقارئي الصحف السيارة إلا أننى كنت أبذل جهداً كبيراً حتى تقترب هذه الرسالة السياسية التقدمية بشحنة من العاطفة والمشاعر القوية والحكايات التي تصل إلى وجدان القارئ وعقله معاً . وكنت أدرّب نفسى لإعادة خلق التلقائية البسيطة التي هي في الحقيقة ليست تلقائية بل عملية تقنية متّعة . أما في الكتابة النقدية فقد سعيت دائمًا خاصةً حين عالجت " أدب النساء " لا إلى اكتشاف الفروق الدقيقة بين كتاباتهن وكتابه الرجال فحسب ، وإنما أساساً إلى التعرّف على قدراتهن على التعامل مع القيد المركب والاضطهاد المزدوج الواقع على جنسهن في المجتمع الطبقي الأبوى ، والكيفية الفنية - لا الخطابية - التي كشفن بها الوجوه المتعددة للأعراف الاجتماعية المسكوت عنها والمخفية والتي تتوجّل في عالم سرى مكبوب ولغة جسد ملغز تعمّق المحرمات أشواقه فيلوز بالقوة الخيالية لأنّه على حد قول " جوليا كريستيفا " محروم من المعنى " ، بل إن جسد المرأة في اللاوعي الإنساني مقرون بالخطيبة .

ومع ذلك فقد انشغلت طويلاً بقدرة النساء الكاتبات على التعالي على الشعور بالظلم والإفلات من الانغماض في صورة الضحية أو الوقوع في أسرها ، دون أن يغيب هذا الشعور أو تلك الصورة عن أدب المرأة ، أبحث كيف تتجلى قدراتهن على نسج عالم كلّى من التفاصيل التي تعيش فيها المرأة وتعامل معها يومياً أكثر كثيراً من الرجل ويشكّل خاص في علاقتها بالطفل وبجسدها ، افتّش كثيراً عن التقنية وعن الدهاء والقدرة على تجاوز الغضب وللملة أطراف الذاكرة الثقافية والدينية والأدبية التي هشمتها الثقة السائدة ، وقد استطاعت نساء كاتبات في وطننا العربي وفي العالم كله تقديم أعمال عظيمة هي الآن من الكلاسيكيات الكبيرة ومن عيون الأدب .



وبعد: تعلمت طيلة حياتي في المهنة قيمتين أساسيتين ، الصدق وإتقان المعارف الجديدة في ميدان تخصصي ومواكبتها. ولذلك عرفت جيداً - فيما أعتقد - كيف أحافظ بالمسافة بين السياسة المباشرة التي انغمست فيها لشوشني وعبرت كتابة عن مواقفي وبين الأدب والنقد وأدين في ذلك لاستاذي الراحل الدكتور " على الراعي " . وأظن أن هاتين القيمتين قد انعكستا في مجلة " أدب ونقد " التي أرأس تحريرها منذ عام ١٩٨٧ وحتى الآن ويصدرها حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدي ، وهي تفتح الباب للمغامرات الإبداعية مهما كان عنفها .. مداها وتطرفها. حين أنظر إلى الوراء لأنشر بالغضب فقد كنت غالباً راضية عن نفسي رغم الملاحقة والاعتقال والمنع من الكتابة والتضييق على الرزق ، كنت وما زلت صحفية وناقدة مجتهدة ، وأنشر الآن أن قول الشاعر " عبد الرحمن الخميسي " يلخص تجربتي بل وتجربة جيلين من الكتاب والصحفيين انشغلوا بالهم العام.

يقول الخميسي:

" كنت أدفع عن قيثارتى أكثر مما أعزف الحانى .. "

عبد الرحمن منيف .. حالة خاصة:  
أكتب لأبناء شعبي ولا تهمني الجوائز



حاوره: أحمد الدويحي

عالم الرواىي العربى الكبير عبد الرحمن منيف، ليس فسحة أو نزهة سهلة، ففى هذا النتاج الملحمى على كل حال تختفى مدن وتبزر أخرى، وتختفى شخصيات وتظهر ملامح، وأوصاف مستمرة بكثافة، فى بعد زمنى وحوالى وتصورات، مشبعة بروح احتمالات وغزاره التأويل معرفياً ومكانياً..

ولابد أن قارئ أدبه ورواياته، يقيت فى ذهنه أسئلة وظلال، لهذا الرواية الحية..  
الرواية التى لم تكتب بعد..

كنا (أربعة) فى طريقنا إلى الممر الخارجى لمعرض دمشق الدولى للخروج، نحمل إثقال أكياس كتبنا بكسيل، فصاحت أحدها:  
ـ هذا عبد الرحمن منيف..!

وتحفظ ذاكرة المشهد الرواىي العربى بامتياز: (الأشجار واغتيال مرزاوى). الرواية الشعرية المؤسسة، فيما بعد لهذا العالم الرواىي الملحمى الشخص، امتدت حتى الآن إلى حالة ثقافية تمشى على الأرض، بينما لم تكن في حالة السرد أكثر من ثلاثة ساعات، هي المشهد العربى في رحلة قطار، وشاهدا على تحولاته في ذات المكان والزمان..  
وانفرطت مسبحة القلب والذاكرة على (قصة حب مجوسية) و(حين تركنا الجسر)، (والنهايات) و(سباق المسافات الطويلة).  
في صبای قرأت كغيرى، كل هذا النتاج الإبداعى من الروايات له، في حالة بحث عن طرائق جديدة لفن السرد..

وأعجبت أيماء اعجاب بشعرية (النهايات) وعشيت حالات التشريد والعذاب والسجون في (شرق المتوسط) و(قصة حب مجوسية).  
أما رواية (الأشجار واغتيال مرزاوى) فظللت الرواية التي بحق، تجسد لي هم المثقف العربى، في أي مكان..

وإذا كانت الرواية العربية قد شكلت على خارطة الإبداع العالمى حضوراً ممثلاً في شيخ الرواية العربية الاستاذ نجيب محفوظ، فإن الرواية العربية اليوم، هي أكثر عافية وغنى، ولديها من التراكم المعرفي زخم هائل، ما يجعلها تتبع السباق في أي مكان وزمان، من العالم العربي الممتد، من الماء إلى الماء..

في مرحلة تالية، كتب منيف بالاشتراك مع جبرا إبراهيم جبرا (عالم بلا خرائط) وظللت رواية (الأشجار واغتيال مرزاوى) صرخة مميزة لرهان النقد والذاكرة في السرد، ليneathض المبدع والمثقف الحقيقي الكبير من وسط هذا الركام، ومن أودية أحلام الخيبات.

والانكسارات والضياع، ليكتب سيرة ملهمة تاريخية عن المكان والزمان، ليدخلنا في غرف (مدن الملح) الإنجاز الملحمي في أجزاءه الخمسة (التبه- الأخدود- تقسيم الليل والنهار- المنبيت- بادية الكلمات)، وليكمل جزءاً من المشهد في (أرض السواد) يريد أن يغرقنا في (أرض ممتلئة بالحزن وروح المكان والفضاء والشخصيات والأجيال وتفاصيل السواد).. من ثلاثة أجزاء هي الإنجاز الأخير له..

وقف منتصباً مبتسماً لنا (الأربعة) بود، أخذنا واحداً إلى صدره، وأخذناه مجاملة لعشر دقائق إلى مقهى جانبي في معرض دمشق الدولي للكتاب، كان المكان فجأة(!) قد ازدحم بالناس، من أدباء وأصحاب دور نشر وأصدقاء وقراء وإشاعة قد سبقته، تنبئ عن أنه سيفاتي..

ولظروفه الصحية ولظروف أخرى، ظلت احتمالات مجيئه ضعيفة، رأيته يتدفق  
بعدوبة في تواضع لا يكون إلا للكبّار، تقدمت إليه وقدمت له نفسى، وقلت:  
- أريد حواراً.

ضحك في خجل، ولحسن الحظ كان أحد الأصدقاء الشعراء يلتقط لنا صوراً..  
بالكاد لجملة من الاعتبارات رتب لي موعداً في صباح الغد، ولمدة نصف ساعة فقط  
، خشيت أن تذهب به(نكتة)، بعد أن أطلقها أحد الأصدقاء علىّ، وهزت كيائني..  
ضحك لها كثيراً، وقال إن النهر الصديق (هو الذي يفيض وقت حاجة الزرع إلى  
مياهه كما- النيل- حاملاً الطمي والخصب) أما النهر الشرس(هو الذي يفيض وقت  
نخوض الزرع، فتفسد المياه الكاسحة الكثير من المزروعات كما في- دجلة والفرات- في  
أغلب الأحيان).

عبد الرحمن منيف في حواره معى كان نهرا من نوع (النهر الصديق)، نهر الروايات إذ يفحيض - نوعاً وكما من احتشاد فضاءات ، إذ يحمل فيضانه الطمى والخشب والبشار ، بحياة فيها كل الخبر ، وهنا نص الحوار :

**١** - عملاق الرواية العربية أستاذ عبد الرحمن منيف خضت في عمق الحياة الاجتماعية والثقافية والفكرية والسياسية العربية، وعلى مدى حقب طويلة من الزمن، وتعد في المشهد الثقافي العربي المعاصر واحداً من أهم شهود العصر روائياً .. ما هي في نظركم أزمة المثقف العربي، هل هي أزمة وعي وحرية، أم انخفاض السقف وأزمة مؤسسات، كيف تضيّع هذا التفق؟

-لا يمكن اعتبار سبب واحد- هو سبب الأزمة الراهنة ، هناك أسباب تراكمت عبر

أزمان طويلة، المشهد الذى نعيشها اليوم فى حالة أزمة، نتيجة لتوافر تعارضات فكرية، وانعدام وضوح الرؤيا ولعدم تحديد الأهداف، تحديداً واضحاً .. وبالتألى أيضاً هناك عامل الوعي، وهو شئٌ تاريخي يتكون بالتراكم، عبر فترات طويلة من خلال التصور الواضح، ومن خلال عملية الاستمرار، يتكون مزيج من الوضوح، ومزيج من تحديد أفكار وصور كثيرة، وبذلك لا يمكن اعتبار أن هناك سبباً منفرداً، ولا يمكن اعتبار أن المرحلة القصيرة، هي سبب الأزمة، ويمكن القول إن كثيراً من العوامل التى تلاحظها فى الفترة الأخيرة، هي عوامل كاشفة، أكثر مما هي عوامل منشئة، الأزمات والارتباكات التى صارت على أكثر من صعيد، على صعيد تهاوى بنى سياسية وأنكار وعائد وصيغ، حالة الارتباك وحالة التشوش، هي مظاهر لأزمة مستمرة، ويمكن القول إن الحالة التى نعيشها اليوم جذورها تتمتد إلى ما قبل عصر النهضة، إنها عميقية ومستمرة، الرواد الأوائل فى القرن التاسع عشر، حاولوا أن يقدموا شيئاً، مواضيع فى نوع من الصيغ والأفكار الأولية، للاسف كانت بدائية أولاً، وثانياً: لم تتواصل، وتبدأ أي مشاريع جديدة من الصفر غالباً، وبدون تراكم معرفى ..

وفي فترات الانهيارات الكبيرة، فى فترات الأزمات، نلاحظ مثل هذه الحالة، وهى حالة طبيعية تقريباً، يعنى أن كثيراً من الشعوب وكثيراً من التجارب الإنسانية، تمر بها حتى تستكمل جزءاً منها، وكثير من أدواتها الفكرية وصيغها، وأصبحت أقدر على مواجهة الأزمة، ولديها القدرة على إيجاد آليات معينة، للتعامل معها تمهيداً لحلها، لذلك ربما الحالة التى نعيشها اليوم، إنما هى تعبير عن الفلق وتنوع من امتحان الاحتمالات، ونستطيع بدقة مع الأيام أن نحدد أكثر الأهداف، ويجب أن تكون متواضعين ..

كنا نأمل أن يكون هناك حلول جذرية وسريعة للقضايا الكبرى بدون دفع الثمن، وتبين لنا الآن أن كل شئٌ يجب أن يحدد بدقة، ويجب تحديد ثمن هذا الطلب، من أجل تحقيق هذا الحلم الآن بكل هذا التراكم والاستمرارية، يمكن إيجاد حلول ناضجة ..

\*حدثت انهيارات كبيرة على مستوى العالم، أصاب جزء منها عالمنا العربى على صعيد المفاهيم فى الفكر التقديمى، هل تظن أن الوضع سيستمر طويلاً أم أن هناك أملاً فى عودة اللحمة من هذا التشيش الكبير؟.

ـ يجب أولاً أن نحدد المفاهيم التقديمية، ويجب أن يتحدث بدقة عن ماهية الأفكار التي نظرها .

ـ فى وقت سابق فى السبعينيات والستينيات، كنا نتصور أن كل شئٌ أصبح ناضجاً

وأقترب من التحقيق الكامل، من حيث الأحلام والأفكار والرغبات في النفوس، وفي عالم بلا ظلم في عالم تسوه العدالة، واكتشفنا أن ما بيننا وبين تحقيق مثل هذه الأحلام مشوار طويلاً جداً، وكما يقال دائمًا أطول رحلة تبدأ بخطوة، ولا بأس أن تصرف أحلامنا قليلاً، إنما تكون قابلة للتحقق، وقابلة للاستمرار والترافق، ومسألة التقدمية والعالم الجديد، فإن النضال المستمر نوع من التراكم المستمر، والإنسان بطبيعة يأمل أن يكون الخد أفضل من اليوم، بأن هناك عدالة أكثر رحابة في استيعاب الكل، وتتاح فرصة التعبير والحياة والصحة والعمل في منطقتنا العربية بشكل أفضل، لم يتعلم الأغلبية وهذه قضية عامة..

حركة التقدم في العالم هي حركة لوبية دائمًا، لا تتصعد صعوداً كاملاً، فيها نوع من الانتكاسات والتراجعت، فيها نوع من الصيغة نصف الدائرية، لتبدو في لحظات معينة في حالة تراجع وأنهيار، إنما هي عملية التقاط أنفاس، تمهيداً لقفزة أخرى وتقدم آخر، وحتى في غير الأنظمة الرأسمالية، نلاحظ أن مفهوم الديمقراطي بدأ بشكل آخر، هذا المفهوم في الغرب تكون عبر قرون طويلة، ونقلات كبيرة، وتنوعية في وسائل العمل، وعمل الأطفال دون سن الثانية عشرة، وسن ساعات للعمل بست ساعات، وبخمسة أيام للعمل ومسألة التقدم هي أمر طبيعي، المهم كيف نستفيد من الانجازات وتراثها، وأظن أن هذا هو التحدى الكبير الذي يواجه منطقتنا العربية.

\*نريد أن نخرج من جفاف الفكر وأسئلته.. ونحن في حضرة عالم الروائي الملحمي الغزير، نعرف كيف يبني العملاق عبد الرحمن منيف من لهم هذا المنجز الضخم، لكننا نريد أن نعرف أوجه التغير في طبيعة أجيال أبطال عالك الروائي .. أنت استمدت مادتك الإبداعية من هذه الأجيال، ما هي الشهادة بحق أبطال أجيالك الروائية إلى أرض السواد؟.

هذا لا شك سؤال كبير ومتشعب .. وبالتالي لابد أن نقتصر على ملامة بعض الجوانب، لأننا بالتأكيد لن نلم بكل شيء، إنما على الإجمال عندما أكتب، أحاول أن أتناول موضوعاً محدداً بذاته، كنوع من التصور الأولى من خلال موضوع العمل، ومن خلال الشخصيات والمناخ الذي يتولد فيه العمل، تتضح الأمور تدريجياً، وزعم كبير أن يكون مفترضاً أن كل شيء واضحًا منذ البداية، أو التصور الأولى للموضوع، أو معرفة التوجهات، أو التوجه العام الذي سوف يصل إليه العمل، ولو افترضنا شخصية (ما) ربما ليس لها وضوح وملامح، إنما مجرد دخولها في الذات الروائية، تتضح ببردة فعلها مع الآخر، ومع الجو الروائي وأنه بدأ تتفتت بفعل العوامل المحيطة، ثم تكون

تدريجياً من هذا الهاشم البدائي ، وتتعدد الملامح من خلال النمو ، مثل الطفل هو مخلوق جميل له كيانه ، لكنه لا يأخذ فاعليته إلا من خلال الحياة ، هناك اعتبارات تسرع وتضييف وتهول في الاشكال والموضوع واللامتحان ..

ومسألة جيل في حد ذاته هو جيل افتراضي ، أنا كاتب ليس لي قارئ محدد ، لي قارئ عام ، هناك أجيال مختلفة تقبل على قراءة رواياتي ، بهدف المعرفة والاكتشاف واكتساب معلومات ، ومحاولة افتراض صيغ وأشكال معينة . ومن(هون) انتفت فكرة أنها لا تعنى إلا نفراً محدوداً أو شريحة محددة ، وتبين لي أن القضية فيها نوع من الفضول عند القارئ . ليعرف كيف تكون الحياة في العالم الروائي وكيف نمت الشخصيات ، وكيف ومتى أخذت شكلها النهائي ، وهي مثل سباق التتابع الذي تحدثنا عنه البارحة ، كل جيل يسلم الرأية للجيل الآتي بعده ، أجيال تتابع وتسلم الرأيات لأخرى ، أي روائي هو إضافة لروائي قبله ، وهو فتح وشق طريق جديد ..

\* عفوا دكتور .. أريد أن أحدد سؤال .. في موقع آخر ، وصفت أجيال عالمكم الروائي ، بأن الجيل الراهن هو جيل ثورة الاتصالات وجيل ثورة المعلومات ، وحول هذا سؤال سيرد فيما بعد .. ووصفت الجيل الأول من عالمكم الروائي بأنه جيل استمد انكاره وطروحاته ونشاطه وفاعليته في الحياة ، من الخرافات والغيبيات .. وفي موقع آخر قيل إنكم تكتبون أدباً تدوينياً بمعنى أنه أقرب إلى التسجيل التاريخي ، وتقول بأنك تتضع الجذر وتتبني عليه حتى أقمت لنا هذا البناء الذي فيه الدور الأول ، والدور الثاني حتى الدور الأخير .. بعد هذا المشهد الطويل ، إنما الدور هي أجيال دكتور عبد الرحمن منيف فكيف تصفها ..

\* التصنيفات كثيرة ومتعددة من ناحية زوايا الروايا ، ومن حق الآخرين أن يصنفوا ويعيدوا تركيب العالم ضمن افتراضات معينة ، أنا كاتب تنتهي مهمتي عند ما أنتهي من كتاباتي ، الكتابة عندي تنتهي عندما تصبح ملائكة الآخرين ، وكل جهد مطلوب يوضع قبل أن تنتهي الكتابة ، وكل فرضية يراد امتحانها كاحتمال ، يجب أن تتم من خلال الكتابة وإذا أصبحت ناجزة ، يعني انتهت ..

ومن هنا يصبح من حق الآخرين ، أن يتعاملوا معها بالشكل الذي يفترضون أنه الصحيح ، وظبيعي من خلال المقاربة الصغيرة المباشرة ، كل طابق أو كل(دور) كما وصفت في هذا البناء ، يعني له مواصفات ، له شكل معين ، له دور معين ، كتاباتي في مرحلة ماضية لها أهمية تأسيسية ، الكتابة اللاحقة كتابات تضيء ، أخرى تقود القارئ إلى الكشف عن عالم أرحب ، عالم جديد و مختلف ، وعالم الرواية تحديداً بمقدار ماهي

محددة بصيغة معينة للاشياء ، فإنها تفتح النوافذ للأسئلة الكبيرة ، والأسئلة بمقدار ماهي ملك للكاتب ، إنما هي أيضاً ملك للقارئ ، ليعيد تشكيك الإجابات وفق قراءاته وثقافاته وتجاربه في الحياة ، الكتابة المهمة هي التي تطرح احتمالات وأسئلة وتضيّع جوانب معينة ، وتترك بعض الجوانب في الفضول ، وهي عملية مشتركة ، بين اكتشاف أشياء جديدة ، وإعادة ترتيبها من جديد ، لتتناسب مع كم الواقع المعد والمستجدة ..

وعودة إلى سؤالك عن عالم البدايات الأولى والكمبيوتر ، بين هذين العالمين فسحة من الوقت والتراث التاريخي الطويل ، لو نظرنا مثلاً في مقاربة إلى عدد الجامعات في عالمنا العربي حالياً ، بما هو موجود مع بداية القرن العشرين ، لوجدنا فرقاً هائلاً وكبيراً وحتى بعد الخريجين ، يعني تحول مفهوم المعرفة والمعلومات والعلاقة مع الآخر ، وحجم العالم بأجزائه ، به اختلافات نوعية ، تعيد ترتيب هذا العالم .. الأسئلة الكبيرة ، حينما تكون مفتوحة ، تكون أغنى ، ليس من مهمتي أن أقدم لك عالماً ناجزاً ، مهمتي أقدم لك كماً من الأشياء ، ومهتمك بحرية أن تعيد صياغتها ، وترتيبها في ظل تجاربك وثقافتك وهمومك ..

\* للأجيال خصوصيتها .. إنما لاشك في أن عبد الرحمن منيف امتحن تفاصيل المكان في سياقه الروائي ، وحلق في العالم العربي في آسيا بكافله ، لكن السؤال أى هم وأى قضايا ترتكبها للأجيال الروائية ..

. الرواية العربية لها ميزة ، ولها تحد في أن واحد ، إحدى مشكلات الرواية العربية ضمن هذا الركام الهائل من هموم ، وقضايا ومواضيعات فيحار كيف يستفيد من الأشياء؟

القضايا تعطى نفسها ، القضايا من التنوع والتعدد ، المشكلة ليست لدى الروائي في اختيار الموضوعات ، فكلها بكر ، وكلها تعطى نفسها ، وتصبح طلب من يستطيع أن يتعامل معها .. في (أرض السواد) روایتی الأخيرة .. لو كانت الظروف مواتية ، لكنت قادرًا على كتابة أكثر من عشر روايات في هذا .. لأن لدى كماً هائلاً ، من المادة والمواضيع والشخصيات والحقوق والفترات الزمنية والمكانية ، وعشت مثل نهر متدفع ، الصعوبة هي عملية اختيار الأولويات ، في أيام الربيع وأنت في حقل زهور ، تحاور والزهور حولك تتفتح أيها أنساب (؟) ، ميزتني أنا وجيلي أننا علقنا الجرس ، وفتحنا الباب إلى هذا العالم ، ودعونا الروائيين الجدد للدخول ، والكشف عن كم كبير من القضايا والهموم ، لن يريد أن يختارها ويتعامل معها ..

\* النقد العربي هل تظن أنه امتلك أدواته وله حضوره الموزاي والفعال إلى جانب

الإبداع ، أم يعاني غياباً وقصوراً على صعيد الأفكار والرؤية ..

هناك نقد ولاشك ، لكنه نقد تشوبه بعض التواusch والخيزة ، وليس لديه وسائل كافية للتعامل مع الأعمال الإبداعية ، وليس لديه اعتماد مناهج وأساليب محاورة ، نلاحظ باستمرار الفرق بين العملية الإبداعية وما يوازنها من نقد ، يغطيها ويقرأها ويشرح جوانبها ، ربما لعدم التناسق والانسجام ، ونلاحظ أيضاً أن هناك بوجه الإجمال جهد ، لكنه بحاجة إلى بلورة ، و اختيار أساليب أكثر تحديد ووضواحاً ..

\* يعني نقد مسلق ، ناقد يقترب من عالم عبد الرحمن منيف ، ربما يقترب مجاملة كتابة مجانية ..؟

جزء كبير من النقد العربي الراهن ، يعتمد على العلاقات الشخصية ، والنظرية وما يسمى الشللية ، والمجاملات والترويج لاتجاهات وصيغ معينة ، وهذه نماذج نقدية نفسها قصير ، وتأثيرها محدود ، للعلاقات الشخصية واتجاهات السياسة دور في عدم جعل الموضوعية هي المقياس الحقيقي في التعامل مع الآثار الإبداعية ، وكما يقال:( ما ينفع الناس يبقى في الأرض ، أما الزبد فيذهب جفاء ..)

\* الرواية العربية عبد الرحمن ميف لإنراك إلا كبيرة .. السؤال .. أنت كيف ترى موقعك على جغرافيا الإبداع العالمي ..؟

أنا واحداً من هذا الجيل الذي عاش تجربة المرحلة ، جيل ألقى على كاهله كم كبير من التحديات والأسئلة ، أسئلة عجيبة علينا أن نجيب عنها ، في محاولة لتقديم نوع من الطرôرات والصور ، لتتلائم مع الأشياء الموجودة ، ولا يمكن توصيف الأمور باطمئنان ..

وكما يقال : (اللى إيده فى النار ..) يصعب عليه تحديد نتائج الموقع الموضوعي ، والقضية مستمرة ، أسئلة وتحديات ، وهموم ومواضيع ، وبحث ، وإجابات ، وإحتمال إجابات ..

إذا لديك ورشة عمل كبيرة ، يمكن أن تجيب عن الأسئلة بقدرة ، المهم الاستمرار والعمل والصدق والإخلاص ، ودع النتائج في وقتها ..

\* وكيف ترى قريرك من الجوائز العالمية ..؟

أنا قبل كل شئ حينما أكتب ، إنما أكتب لأنباء شعبي ، وموضوع ترجمة أدبي لا يعني لي شيئاً ، استغرب في بعض الأحيان ، الاهتمام الواسع بترجمة كتبى لأن لها عالم وجو روائيًا مختلفاً ..

- عفوا .. إلى كم لغة ترجمت ..؟

إلى اثنى عشرة لغة ، والترجمة والجوائز نتائج تالية ، إذا الروائي أو أى كاتب إذا اعتبر الجوائز أساساً ، فلن يكتب شيئاً ، الشئ المحلي هو الأساس عندي ، أنا عندما أكتب ، إنما أنظر إلى أبناء شعبي ، أنظر إلى الناس الذين يقرأونها ، هم أهم عندي من واحد قرأها في إسكندنافيا ، أو في أى مكان آخر من العالم ..

\* إلى جانبك في المشهد الروائي العربي أسماء مؤهلة لجائزة نوبل .. أنت من من المؤسسات الثقافية العربية تظن أنها ترشحك لهذه الجائزة ..

أنا إذا خلصت من المؤسسات العربية فحظى من السماء ، أنا لست في حاجة إلى ترشيح بلاد أو مؤسسات ، أنا حالة خاصة..

- أسمح لي ، المسألة ليست ورقة (ياصحيب) في الجيب ياأستاذ .. أنت تناولت في ملامح روائية معمرة جانباً منها من المشهد العربي ..

= متى تنزل المبدع عن حق له ، فليس له حق حتى أن يحلم ، المبدعون الكبار لا يتخلون عن أحلامهم ..

هنا توقفت عن إلقاء أسئلتي . ظلت لشوان أبحث عن نظارتي بين هذا الركام من الهموم والأوراق ، نظرت في عينيه ، ابتسم لـ برق شجعني على التقاط أنفاسى : قلت له :

\* ماشاء الله .. أنا تعجب من الأسئلة ، وأنت لم تتعجب ..

ضحك ورد بعجلة:

أتصور كافي .. موهيك ..

\* لأريد أن أرهقك أستاذ .. بقى في جعبتي سؤالان .. هل تملك كتابات من المملكة العربية السعودية ، هل تقرأها ، وكيف ترى النتاج الأدبي ..

أنا أراهن عليه ، لدى توقعات كبيرة له ، لدى أمل كبير في الحركة الإبداعية للمرحلة الحالية ، وتبذر فنون الشعو والقصة القصيرة ، وهي حالة مفهومة ، يمكن تحليلها وتفسيرها ، ولدى إحساس بأن الكتابة الأدبية في هذا البلد لها احتمالات كبيرة ، سيتفاها بها الكثيرون في المستقبل المنظور وربما المتوسط ، ولم يتوقعوا صدورها من هذا المكان ، ولاحظت كماً كبيراً من المؤشرات من خلال متابعة ما يطرح من كتابة ، ونوع الحوار والنقاشات التي يصل صداها ، لتشعرنا أنها في حالة مخاض ، وينتظر لها نتائج إيجابية مهمة ، وستتحقق بالمبادرة ، والصبر ، والجهد ، والسهر .. الآن توجد بشائر ، تعطى مؤشرات ، بأن هناك حالة اختمار ، لكتابة جيدة ..

\* أخيراً دكتور .. نحن نعيش ثورة المعلومات ، وجيل الانترنت ، هل تتوقع أن

يصمد الكتاب كـ سيلة ثقافية ..!

الكتاب الورقي يواجه تحدياً كبيراً ، ولو نظرنا بعين الاعتبار لما يجرى لوجدنا :  
أولاً: أنه إلى جانب الكتاب وجدت وسائل تعليم عديدة ، واستطاع أن يصمد  
ويستمر ، وقد ظهرت الصورة المطبوعة ، ثم الصورة المتحركة السينمائية  
والتلفزيونية ، ثم الكلمة المسماومة وظل الكتاب موجوداً للممتعة والفائدة معاً..

ثانياً: رغم أهمية ما تتوفره الوسائل الحديثة خاصة الكمبيوتر ، فإن الإنسان  
لا يتعامل معه مباشرة قبل الورق ، ثم يتم تحويلها إلى شكل من أشكال الكتابة ،  
والكلمة المطبوعة المقرؤة عنصر أساسي ، والوسائل الحديثة لخدمتها بشكل أسهل  
وتحسمن وصولها بشكل أسرع ، لأنها عوامل مساعدة ، هي تقنية مساعدة من يمتلك  
التكنولوجيا في العالم مثل اليابان والغرب ، لديه أعلى معدلات ساعات القراءة ، هم  
الذين لا يزالون وا يقرءون المسألة تكاملية هي نوع من العادة نوع من التقاليد يتم  
تلقيتها ونحوها منذ الصغر ..

القراءة نوع من الصيغة الإنسانية يحددها ولديه خيار في نوع القراءة ونوع الوقت  
الذي يختاره ، دون أن تكون مفروضة كصورة محددة ، القراءة للقارئ تعطيه خيار  
كم تلق وشريك ليعيده صياغة الأشياء ، ويشارك في إعادة تكوينها ضمن أنساق لها  
خياراتها ..

فجأة باغتنى بسؤال ..

\* كم لديك أولاد .. ?

كذبت ، وإلى الآن لا أعرف سبب كذبى ، فهم أضعاف ماذكرت ، قلت له :  
- ثلاثة !!!

ضحك وكأنه اكتشف كذبى فقال بحميمية :

\* أسمائهم ؟ ..

ابتسمت بخجل ، أدارى خجل وكذبى ، وقلت :  
- الأول سميت باسم أحد أبطال روائي عربى ، وذكرت له أسماء الروائي العربى ،  
وبطله ، وأسم ابني ..

والثانى .. سيميتها باسم روائية عربية ، وسميت له اسم البنت والرواية ..  
فانفجر في ضحك عال ، رأيت سنواته التي تقترب من السبعين تهتز ، وكأنه يؤذن  
للآخرين الذين ينتظرون حول طاولات مجاورة هذه اللحظة ، ليقبلوا عليه أدباء وقراء  
يحملون كتبه ، اكتشف أن النصف ساعة التي منحني ، قد امتدت إلى ساعتين وثلث ،



رأيته يبتسم لطلبات الكتابة في صحف عربية ، أو لإجراء حوارا مع أدباء دون أن يتبين بكلمة ، ومع دور نشر تطلب منحها شرف طباعة شيء من نتاجه الأدبي ، رأيته يلتصق في تواضع الكبار بجدار وينكمش في كرسيه ، وفي هدوء وصمت وابتسمة أخذه على جبينه ، أكاد أوقن أنه جزء من الجدار ...

يقترب قاريء منه ويسلم عليه ، ويقدم له إهداء على شيء من رواياته ، يسأله لماذا هذا الكتاب ، وماذا قرأت ، وسائل قاريء لأدب بمداعبة :

- هل تعرف أحداً من أبطال هذه الرواية ..  
وفجأة وقف ..

نظر في وجهي وقال: سلم لي على الشباب هناك ..  
غاب الروائي العربي الكبير في زحام أجياله من رواد معرض الكتاب ، وكنت أبحث عن نظاراتي وأملم الصور والكلام والأوراق والأفكار.

رأى

# أيها الفلسطيني من عساه أن يرقص أفضل منا؟

قاسم مسعد عليوة

الدم الفلسطيني يراق ونحن لأنّاتي فعلاً سوى الرقص ، لأنّك شيئاً يفضله ،  
ولأنّجده في هذه الدنيا من فعل سواه .  
أدباء؟ قد تكون ، سياسيين؟ ربما . مثقفين؟ أحياناً ، لكن الحقيقة التي للبس  
فيها هي أننا بالأساس راقصون . طوال الوقت نرقص . ننظر إلى المرايا ونرقص .  
نخرج إلى الحلبة ونرقص . نسعى لاحتقار الأضواء البعيدة عن وجه الانفجارات .  
لأهم لنا إلا أن نكون مرئيين من جميع الزوايا . أينما يتقدّم المشاهد يرثانا .. ساخنين  
.. ملتهبين .. نميد وننثني بما يتفق واللغمات الصادرة عن عمليات الذبح والتقطيل  
مع الآنين نتن . مع الهدير نهدر . نقفز أحياناً ونطير أخرى . ندور حول أنفسنا .  
ندوم الهواء .. نرعد . ثم نند أيدينا باتجاه الجمهور .. الجمهور العريض .. الجمهور  
الحاضر .. الخفي .. إذا لم تهُو إلينا الأفئدة اقتحمناها .

نجتمع برقمنا ، ونحن في مأمن من الرصاص الحي وطلقات المطاط ، آلاف  
التوقيعات لحملة المليون توقيع . تخاطب السكرتير العام للأمم المتحدة . نناشد  
الزعماء العرب . تحاضر ضد الصهيونية . نقيم الندوات وننظم المعارض . نستمدّي  
بالصهد الذي كان ، لشعراء المقاومة الذين كانوا . تلهث إذ نتناقش في محاور

المؤتمرات التي خصصناها للشجب والإدانة نتظر ردًا أفواهنا فوق الميكروفونات ونحن نصبح بعبارات التأييد للانتفاضة ومشعليها . نقيم المهرجانات الصاخبة ونستخفيف لها أصحاب المبادئ من الفنانين . نهتف في المظاهرات العاشرفة ونحرق العلمين الإسرائيلي والأمريكي . نحضر على مقاطعة كل ما هو صهيوني وبعض مما هو أمريكي . نحرر القوائم السوداء ونمنع التعامل بالشيكل .. فيما يزداد الدم الفلسطيني المراق غزاره يندفق من الأجساد المثقوبة لتوها ومن الشرايين والأوردة المعجونة باللحم والعظم ورمل الطريق .. يسفل ويختبر وتتابع موجاته بطئية لكن قوية . يسيح ويغوص من فوق ومن تحت عتبات الحدود . يعبر قناتنا الحمراء دوماً ويأتينا فنخوض فيه بأحذيتنا .. ما الفرق بيننا وبين حاملي المقاليع وحارقى الكاوتشوك ومفجرى السيارات المفخخة؟ ما الفرق بيننا وبين المفقرة عيونهم ، المبقورة بطنونهم ، الساقطين فوق الأسفلت ، ولافقدي أنفاسهم داخل عربات الإسعاف ..؟ ما الفرق؟

إذ نجتهد في الرقص نسأل أنفسنا من عساه أن يكون أفضل منا في الرقص؟ .. من هو الأكثر إخلاصاً؟ .. من يضحى مثلنا؟ .. بشكائر الأرض نتبرع ، بالملابس الفائضة عن الحاجة ، ملابسنا وملابس أولادنا بالبطاطين المخرقة ، بالعملات عديمة القيمة ، وبالأدوية التي تتنازل عنها وبين ما بيننا من خصاصة.

كاميرا التليفزيون تأتينا . تنقل تفاصيل حركاتنا . تتبع انتقباضاتنا وانبساطاتنا . فخرا نتنه ، لكننا نخطى ملامحتنا بما يليق من تعبيرات . معرقين لا هم يننظر إلى عشرات الأيدي المشفولة باختزال أو صاف رقمناتنا على أوراقهم ، والمعنية بتقليل وتبديل شرائط مسجلاتهم الخاصة ، أو المجتهد في التقاط أفضل الصور الفوتوغرافية لصحفهم . يخطفنا مقدمو البرامج ومذيعو الراديو والصحفيون من حلبة الرقص إلى حلبة التسجيل .. "كم أنت شجعان" .. كم أنت كرماء " . هكذا تكون المساندة " . يتملقوننا بالسنة وعيون يثقلها اهتمام حقيقي أو مصطنع .. أسهل الطرق لله شرائطهم وأوراقهم . هم أيضاً يرقصون . يعلمون أن الواحد منا يتلبسه مائة راقص أو يزيد إذا مارأى نفسه في بورة اهتمام الإعلام

المرئى والسموع والممروء . ونحن نجاريهم . نخطب ودهم قبل ود الجمهور العريض الذى نستهدفه ونقدم رقصاتنا له . نفعل ما نفعل باقتدار . نفعله ونحن نعلم أن الشرائط والأوراق ستختصر لقصص المنتاج ورؤى المعدين والمخرجين وتعليمات الرقابة وصرامة الرؤساء وتوجيهات الساسة المسئولين .

المنشور عن رقصاتنا فى الدوريات ساخن .. ملتهب .. بين السطور تهدر موسيقانا .. مقدماتها شظايا من قنابل وخواتيمها شواذ من نيران .. فى الراديو نسمع دبيب أقدامنا وتصفيق أكتفينا وصراخنا ولانحس بحمية الأجساد إذ تنتفض ؟ أو تتوتر . أما الشاشات فلا تعرض إلا الهادئ المستكين من تعبيرات أجسادنا وملامحنا .. يحدث هذا فلا ثبات لأننا نعلم أن هذه هي شروط المراقص العامة .

الشرطة لاتعارض . تترجح أحياناً ، وتمنح التقارير المحبوسة عنا أحياناً أخرى وحكامنا مضغوطون ، أبصارهم زائفة وموزعة بين رقصاتنا ورقصات البتاجون والسى أى إيه والبيت الأبيض ولوبي الكونجرس البغيض . مشغولون بالطاقم الأمريكي إذ يغير طاقم فيلمه الجديد . سيأتى بالطاقم الذى قدم عرض حرب الخليج الثانية ، فائى سيناريو سيكون من نصيب انتفاضتكم الثانية يا أهل فلسطين .

ومثلاً هى الحال فى كل ملءة تنجدب الأحزاب المحلية فترسل ممثلها إلى الحلبة التى نسيطر عليها ليشاركو نا الرقص . يجتهدون للانحراف فى أداء نفس الرقصات ، نفس الحركات . هز البطن لا يصلح هنا ، فلا مجال لتملق الغرائز ، لكن لأباس إن اهتزت عفوأ أو ترجرت الأرداف فالطبع دائمًا غالب والعرق دساس . حتى اليمين ، بكل فحائله ، يأتينا ولا يخشى تهمة الرقص مع اليسار .. الفاجر .. الكافر .. المعامل مع موسكو .. وموسكو بطريقتها تمارس فعل القهر على الفلسطينيين - حلفاء الأمس - ومن اللعل تشارك الظالمين رقصتهم وفرحتهم وبطريقتها ترسل قبلات الإعجاب للصهيونى الذى أكرمهها بهجرته منها إلى فلسطين .

والدم الفلسطينى لطحة مطبوعة على غلاف المجرة التى تحتوينا .. يهمى علينا

مع مطر الشتاء ، وتنفسه فى هواء الصيف . تشربه مخلوطا بعいか كل الفصول ، ونأكله مع كل ورقة خضر وشمرة فاكهة وحبة بقل .. والكل يرقص .. يهدأ أو يصخب .. يمارس رعبه أو فرجه . إلا الفلسطينى الذى يتربّع ويتصالب ويكتو وينهض وجراحه تشخب دمه . ربما بدا فى تشبّثه بأهادب الحياة بعض ملامح من رقص . لكن اليون شاسع بين رقصة الذبيح ورقصة العزار . والجزارون كثر . معهم السكين والمدشة ، الدبابة والصاروخ ، ورقة الفيتو وحقيقة المفاوضات . يلوحن بأسلحتهم ويرقصون . يدفعون باذرعهم للأمام مهددين . يزفرون زفير نافدى الصبر . محظون . موتورون ، منتفخو الأوداج . متورمون . ونحن نرقص . نعلم أنه لكي نقترب منهم لابد أن نرقص ، ولكن نغضبهم لابد أن نرقص ، ولكن نقاومهم لابد أن نرقص ، ولكن نرضيهم أو نبهرهم لابد أن نرقص .

هذه هي لغة العصر .. اللغة الجديدة بين التابع والمتبوع .. لغة الخدر والاستفافة . "إذا كنت ت يريد أن تدخل ساحة الحوار العام وتتجذب الانتباه نحو خطرك أو خوف ما ، أو تساعد إنسانا يعاني من الإضطهاد ، فكيف تفعل ذلك اليوم دون أن تكون راقصا أو أن تبدو كذلك ؟ هذا ما قاله فانسان لفونتيان فى رواية (البطء) لميلان كونديرا . كونديرا الذى أخذ يرقص ويرقص ليتأل جائزته ، المخصبة بدماء الفلسطينيين ، من يد العزار الإسرائيلي .. مثله مثل كثيرين .. منهم للأسف عرب ، ومنهم - باللخزى - مصريون .

الكل يعيش زيفه .. الكل ينشد المظهرية والاستعراض .. الكل - بطريقته - يمارس الرقص .. فى الظل أو تحت الأضواء .. أمام المرايا أو فى قلب الحلبة . نحن أيضا لانتملك إلا أن نستمر فى رقصنا . لانملك إلا حرمنا على أن نكون مرئيين من جميع الزوايا ، وبالرقص .. بالرقص فقط تكون فوق مستوى اللوم . ومن يستطيع أن يلومنا ، من يقدر على توبينا ، من .. سوى الفلسطينيين .. وحدهم !

الديوان الصغير

# هرة أبي

## حكايات أرمنية



زوهرا بعنتبليان

ترجمة: نزار الخليلي  
تقديم: عادل الدمرداوى

## مقدمة

الصدق هو القيمة الجوهرية المحورية التي تدور حولها أقاصيص صوت من الجبل التي رواها الكاتب زوهراب عن والده جورج عنتيليان وهم سوريون الجنسية منحدران من أرومة أرمنية اعتمدت بقلم جمال شمال اللاذقية التي صارت ملجاً لعديد من الأزمن من الساعين إليها بحثاً عن الرزق أو هروباً من اضطهاد وتمييز عرقي أو مذابع دموية جرت على أراضي الساحة العثمانية التركية من بعدها.

وتتميز هذه الأقاصيص أو بالأحرى الحكايات بأنها أقرب إلى النوادر والطرائف التي ترويها أو تقمّلها شخصيات شعبية اتسمت بالجمahirية في تلك الأصقاع المنعزلة الوحشة التي كانت قراها على قدر من البساطة تصل إلى حد البدائية تتناثر أنحاء بيئـة طبيعـية قاسـية المناخـ، خاصةـ في الشـتـاءـ، ووعـرةـ المسـالـكـ غيرـ المـهـدةـ بعدـهاـ عنـ العـمرـانـ وانـزعـالـهاـ عنـ الـحـيـاةـ الـعـصـرـيـةـ ماـ أـدـىـ إـلـىـ اـكـتسـابـ الـحـيـاةـ الـيـوـمـيـةـ فيـ تـلـكـ القرـىـ بـطـابـعـ منـ شـفـقـ العـيـشـ وـقـسـوـتـهـ فـيـ بيـئةـ بـرـيةـ هـىـ إـلـىـ الـوـحـشـيـةـ أـقـرـبـ،ـ كـمـ سـيـظـهـرـ فـيـ أـقـاصـيـصـ الـكتـابـ.

وفضلاً عن قيمة الصدق الثرى بعذوبته الذاتية فقد أكتسبت تلك الحكايات ببساطة العقوبة المذهلة والتلقائية الفطرية أبعاداً خلابة الجمال على هذه الحكايات التي رواها الكاتب نقلأ عن واقع عاشه وعاينه أو عن روایات نقلت إليه أو ترامت إلى سمعه من مختلف المصادر التي لا يزال بعضها قابعاً في مساكن بلدة كسب القديمة التي تقاد أن تكون قد قدت في صخور الجبل الذي يطوقها بذراعيه المتتوحشين أو في البقايا المندثرة للقرى الأصغر والضييع الأقل حجماً والتي كانت تحلق حول قرية كسب مركز الحياة الرئيسية في تلك البقاع البرية الرابضة فوق قمم الجبال.

وفضلاً عن قيمة الصدق العذبة والسلسة السهلة والتلقائية الفطرية وجمعيها قيم أصلية تعبر عن واقع مفارق في محليته شديد الالتحام بإقليميته مما رفع هذه الحكايات إلى مصاف إنسانى سامي، فقد حفلت هذه الحكايات بنوادر مبهجة للقلوب التائقة إلى مثل هذه النماذج الحية نادرة المثال ندرة رفاهية الحياة الرخيبة في تلك الأصقاع التي دفعت ببعض نماذجها إلى الفرار من هذه الوحشة الوحشية وشظف



العيشة إلى بلاد العالم المختلفة ، عاد منها بعضهم ليقدم هو الآخر صورة شديدة الطرافة بالغة التفرد للضياع الذي عاناه هؤلاء الناس والذي صار مزدوجا بفشل الهاربين منه في مسعاهم .

وتناسب الحكايات في يسر وسلامة عنده، تيمتها المشتركة هذه الفئة المطحونة من البشر الذين عانوا الأمرين من الحياة في معقلها الجبلي أو قل معتقلاها الطبيعى الذي حبس نفسه فيه تحت ضغوط العوامل التي أتى الإلماح إليها والتي تعتبر بهذه المثابة نموذجاً فريداً للحكايات الاجتماعية ذات الطابع المأساوي والمضمون الطريف في ذات الوقت أى أنها ضرب من التراجيكوميك أقرب منها إلى المسرحية التي تحكى فصولها حياة هؤلاء البشر المشتتين ، الجديرة بأن تسجل والقمينة بأن تتناول ما تستحقه من ذيوع وتقدير وتكريم.

## هرة أبي

قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية ، نزل في فندقنا بكمب ضابط فرنسي ترافقه أسرته ، مع كلب تبدو عليه الشراسة.

قام أبي باستقبال الضيف ، وعرفه على نفسه - بفرنسية الساقى « حاجو » الركيكة - كما عرفه على المكان ، ثم أوعز لاتخاذ الترتيبات الازمة لإقامة الضابط وأهله ، ولم ينس أن يخصص ركناً ل الكلب ربط فيه ، وكانت عينا الكلب الحمراء وان تراقبان ، خلال ذلك ، هرة الفندق المدللة ، وهي تروح وتتجئ غير عابثة بأحد من حولها.

ثم إنه خطير للضابط الفرنسي أن يستمتع بمنظر الهرة والكلب وهما يتقاتلان ، فقام بفك رباط كلبه .. الذي ما كاد يتحرر من قيده حتى انقض على الهرة دونها هواة . أرتابعت الهرة ، وانطلقت تudo ناجية بنفسها ، وتسقطت شجرة في فناء الفندق ، واستقرت على غصن فيها كالآمنة ، والضابط الفرنسي يقهقه في ذلك عالياً وهو يتملى النظر من الهرة المذعورة والكلب المستوحش ، وبدا الكلب وكأنه استوعب مطلب سيده ، فلبيث تحت الشجرة متربقاً ، وهو ينبج布صوت منكر .

ولكن بدا ، أيضاً ، أن الهرة لم تحتمل عبث هذا الغريب الذي حل في الفندق .. فإنما هي تتحفظ ، مستجمعة كل قوتها ، لتنقض من أعلى الشجرة ، على غير توقع وتحط كضخمة على ظهر الكلب ، وتشتبث بجلده ، وتروح تعامل فيه أنيابها . بوغت الكلب ، وأخذ الذعر .. فجعل يعود في الفناء كالمسعور تخلصاً من الهرة المسكة بظهره . ولكنها لم تتخل عنه ، بل زحفت إلى عنقه ، حتى وصلت إلى وجهه ، وهي تعامل فيه تمزيقاً .

وخشي الضابط على كلبه ، فهرع إلى أبي يستنجد به ، بإشارات من يديه ورأسه ، ومستعيناً بلغة الساقى الركيكة ، ملتمساً تحريراً كلبه العزيز من براثن هذه الهرة الغطيبة !.

وأبى يتبعس ، ويزغرد قلبه فرحاً .

وبمساعدة العاملين في الفندق ، تم تخلیص الكلب الذي كان قد ضميخ بدمه . ثم إن الضابط الفرنسي سأل أبي ، متعجبًا ، كيف أنه استطاع أن يروض هرت

ترويضاً جعلها أقوى من النمر؟!.

فأجابه أبي : قطتنا لا تؤمن بمقولة من صفعك على خدك الأيمن فادر له خدك الأيسر ، بل : العين بالعين والسن بالسن والبادي' أظلم!.

فأفهم الضابط الفرنسي ، ولاذ بغرفته لا يلوى على شيء.

### مبيد حشرات جديد

ذات صباح ربيعي بديع، خرج أبي من البيت متوجها إلى قرية «قرادوران» لشراء شيء من التبغ ، من عند صديق له هناك يدعى «أفيديس تيتيزيان».

فمر ، في طريقه ، بفلاح يفلح الأرض بمحرات يجره ثوران قويان.

فسلم أبي عليه وجلس بقربه ، ثم أخذ يلف سيجارة ليدخنها وهو يتملى النظر من سحر الطبيعة ، التي بدت له أشبه بلوحة فنية تحت أشعة الشمس الدافئة وأريج الأزاهير العطرة.

كان الثوران يجران المحراث بخطى وثيدة واستسلام أعمى ، يشقان الأرض التي تتموج تحت سكة المحراث ، محتننة أحلام فلاح طيب مستبشر بالخير . كان «العم كيورك» يقود الثورين ، والمساس في يده ، يخاطب الثورين الطبيعين ويشجعهما بكلمات حلوة وكأنه يخاطب ولده .. وأبي يراقب هذا المشهد مبهجاً ، وهو يسحب نفساً من سيجارته بعد نفس حتى رئتيه ، ثم يمع الدخان موحداً الله، مثنياً على قدرته وجميل صنعه.

فجأة حدث ما لم يكن في الحسبان : قفز الثوران ، فقطعاً قياد نيرهما ، وراحان يعدوان عدواً جنونياً باتجاه أعلى الجبل.

دھش أبي . على حين أدرك الفلاح أنها «ذبابة البقر» ، التي تلسع البقرة فتؤلمها أيام.

اضطرب أبي كثيراً ، وأشعل سيجارة ثانية واقترب من الفلاح يواسيه محاولاً أن يخفف من وقع الحادثة عليه . وهذا يتبع بنظره ما يعنيه ثوراه العزيزان من أذى هذه الحشرة ، التي يعرف أبي جيداً ما تسببه من ضرر لحيوانات الفلاحين.

ـ هنا «حبكت النكتة» عند أبي المترس في حبك النكت . قال وهو يتتصنع الجد:

-من المؤسف أشك لم تسمع ، يا عم كيورك ، بالبيد الذى استحضره «القهواتى ميناس» والمعد للقضاء على هذه الذبابة!

فتح الفلاح الطيب عينيه على سمعتها ، وحدق فى أبي متعجباً ، وقال:  
حقاً ، أنا لم أعلم به ولم أسمع . هل قلت إنه عند القهواتى ميناس؟ ومن أين أنتى به؟ (ويهز رأسه فى أسى) إن أحداً لم يحدثنى بعد ، عن هذا البيد!

قال أبي معنا فى جديته:

-أجل ، يا صاحبى ! فلتعلم ، الأن ، أن بيد ذبابة البقر قد تم اكتشافه ، وهو عبارة عن مسحوق بنى اللون زهيد الشمن . فلتذهب غداً إلى كسب ، تتناول فنجان قهوة عند ميناس وتحصل على البيد!

فتسأل الفلاح الساذج :

-وكيف يستعمل ، هذا البيد ، يا جورج؟

أجاب أبي :

-بسقطة ! تثثر المسحوق على ظهر الثور وتدلكه جيداً حتى لا تأخذه الريح .. ثم إن

رائحته هي التي تطرد الذباب!

فأعلن الفلاح الطيب فرحته :

- بالسعادة!

فى صباح اليوم التالى كان العم كيورك فى كسب ، يقرع باب مقهى ميناس الكبير .  
كان العم ميناس يعزف على ربابته ذات الأوتار الثلاثة ، فتركها وقام يفتح باب مقهىه ، العظيم القديم ، الذى غير الدخان لونه على مر السنين . فكان أن استهل نهاره بالعم كيورك ، الفلاح القادم من قرادران :

- صباح الخير ، أخ ميناس .

ردَّ ميناس :

- ألف صباح جميل . تفضل . ماذا تشرب ؟ قهوة أم شاي؟ .

بادره الفلاح يقول :

- لا هذا ولا ذاك . جئتكم أشتري مبيداً لذبابة البقر !.

فاجأت هذه الكلمات القليلة القهواطى ميناس . واستعاد قوله الرجل وكأنه لم يفهمها فاذا الفلاح :

-قللت أريد مبيداً يطرد تلك الذبابة التي تجبن البقر وتجعله يهيم في الجبال! .  
فأدرك القهواطى أن أحدهم قد مزح مع الفلاح الطيب هذه المزحة، وحضر أنه أبي .  
فاستمهله لحظة ، ودعاه إلى الجلوس ريثما يحضر له المبيد . ودخل إلى المطبخ ، فأخذ  
فنجان قهوة لزبونه، وقدمه إليه . ثم عاد فملاً زجاجة بالماء المتبقى من غسيل الفناجين  
ومزجه بالرماد، وقدم الزجاجة إلى الفلاح ، الذي أخذها شاكرا .  
-كم تريد ثمنها؟ .

-لاشي ، فأنا لا أتقاضى من الفلاحين ثمناً لهذا المبيد . ولست أشك في أنك سوف  
تقدّم لي ، غداً أو بعد غد ، هدية من تفكك الفاخر! .  
.. على رأسى وعيتى .

قال الفلاح ذلك ، ومضى بالزجاجة مسرورا ، ولسانه يلهج بالشكر والامتنان .  
بعد يومين التقى القهواطى بأبي في السوق ، فبار يقول له :  
-ويحك ، يا جورج ! أى مبيد ابتدعه خيالك الخصب وصببته على رأسى ؟ أترانى  
قهواطياً أم صانع أدوية؟ .  
قال أبي ضاحكا :

-وماذا فعلت ، يا أخ ميناس ، للرجل ؟ لا ريب أنك أعطيته دواء ، دواء ما ، فلأنه  
أعرفك جيداً : قلبك طيب ، ولا ترضى أن يرجع أحد من عندك صفر اليدين .  
فأجاب العم ميناس :  
-طبعاً . أعطيته المبيد ، واستفاد منه لسلامة نيته ، بدليل أنه أخذه ثم لم يرنى وجهه  
لله درك ، يا رجل ! أنت تفعل الفعلة ، وتحملنى تبعتها! .

## الولد الضائض

عندما كان أبي يعمل نجارا ، عهد إليه ، مرة ، بإصلاح منجور بيت استأجره معلم  
مدرسة بروتستانتي وصل حديثا إلى كسب من لواء الاسكتندرتون .

وبدأ أبي يعمل ، وراء المنصة ، فى إصلاح الأبواب الخشبية المخلعة والتواخذ التالفة ، ويركب لها بديلا عن البلاور المكسر ، الذى وضع عشرة الواح منه فوق طرف المنصة وهو يعمل بهمة ونشاط ، على حين كان معلم المدرسة الفضولى ، يقف إلى جواره ولا يريد أن يفارقه أبداً، بل كان يقوم بمساعدته ببعض عمله . وقد جهد أبي فى أن يطمئن «السيد هرانت» - وهذا اسم المعلم - ويؤكد له أن العمل سينتهى على ما يرام ، ولكن المعلم كان حريصا على أن يبقى إلى جانبه ، وعيناه ترقان مثل تلميذ خائف . وفيما كذلك وقعت يد المعلم على الواح البلاور الموضوعة على المنصة ، فهوت إلى الأرض وتهشم بعضها .

فقال معلم المدرسة مرتبكاً :

-لعن الله الشيطان . قاتلنى الله على ما فعلت !

فطبيب أبي خاطره :

-كسر البلاور خير ، يا أستاذ ! لا تحزن . غداً أطلب الواحًا غيرها ، وأركبها دون تأخير . لا تحزن أبداً . فالحزن يضر بالصحة .

رد المعلم :

-أجل، أجل، الحزن يضر بالصحة .

فى هذه اللحظة عينها ، سمع صوت امرأة ، فى الخارج ، وهى تصرخ معولة ، ثم تندفع إلى الداخل ، صائحة :

-الحق بي ، يا هرانت! «جانو» مفقود ، هيا نبحث عنه .

وبدلا من أن يهدى المعلم من روع زوجته ، جن جنونه هو الآخر ، وبدا أشبه بعاصفة فى بحر .. وخرجًا يتباريان بالصرارخ ، بحثا عن وحيدهما الدليل الضائع ، جانو . ورأى أبي أن متابعة العمل فى هذه الحالة غير مقبول ، فترك مبابده ، ولحق بالزوجين ، يستطلع حقيقة ما حدث ، أو .. ما يمكن أن يحدث . وفي الخارج سمع أهل

الهى كلهم وهم ينادون على جانو .. وجانو غير موجود!

فأخذ أبي يقول لهم مهدئاً :

-يا جماعة ! لا حاجة لهذا الصراخ . من يسمعكم يسخر منكم . حيشما يكون الوالد ، الان

فإنه عائد إليكم بعد قليل . ربما التقى ولدًا في سنّه فرافقه . لسوف يعود . لا حاجة لهذا الصراخ كله!.

فقال المعلم معتبرضاً:

-ولكن ابننا لا يفعل ذلك. لم يعتد الخروج من البيت إنه ولد مهذب . ولا شك أن مصيبة نزلت به!.

قال أبي:

-انتظروا قليلاً . ولسوف يعود ابنكم ، ولا شك ، قبل المساء سلموا أمركم إلى الله العلي القدير ، خصوصا وأنتم إنجيليون . اصبروا .

فرد معلم المدرسة:

-إنجيليون ، أجل ، ولكن هذا شيئاً آخر . ولا بد لنا أن نبحث عن جانو ، الآن .  
لم تكن هنالك مجاز لتصريف المياه المالحة في بلدتنا في ذلك الحين ، فكان صاحب كل بيت يحتفر جورة فنية لتصريف مخلفات بيته ويقطنها بالواح من خشب . وكانت هذه الأخشاب تتداعى مع مرور الزمن ، ويتحطم بعضها ، فينكشف جانب من الجورة ويظل دون غطاء . وحدث مرة أن كلباً وقع في إحدى هذه الجورات ولم يستطع الخروج فقضى غرقاً . كما اتفق لرجل راشد أن سقط في إحداها ، وكاد يغرق لو لا أن تنبه إليه الجيران فهرعوا إليه يسحبونه من الجورة وهو في آخر رمق!

فاتجه ذهن المعلم إلى هذه الحفرة ، وسرعان ما جاء ببعض طويلة وراح يحرك مياهاها النتنة ، متدايا :

-جانو.. جانو!

وهو يتنقل بين حفرة وأخرى .. ولكن لا أثر لجانو!  
عند المساء ، قبل جانو وبصحبته واحد من رفاقه!  
وما كاد الأب يراه حتى أسرع إليه يضممه إلى صدره ، ويغمغم بحنان:  
-ولدى الحبيب!

## تاجر الجلود

ذات يوم، نزل في فندقنا قادم من دمشق.

وما إن تعرف على أبي ، حتى أعلم أنه معنى بتجارة الجلد ، وأنه جاء إلى هذه المناطققصد أن يلم بأنواع الحيوانات البرية التي تعيش في الجبال والغابات . فلم يدخل أبي عليه بما يعرف في هذا المضمار ، وراح يعدد له أسماء عشرات الحيوانات البرية والأهلية التي تعيش في المنطقة، واصفا جلودها ، مادحا إياها ما تستحق من مدح.

ففرح التزيل الجديد بذلك فرحا عظيما ، وأعرب عن رغبته في أن يحظى ، خلال مدة إقامته في الفندق ، بنماذج من جلود هذه الحيوانات . وأخرج من محفظة نقوده ورقة من فئة مئة ليرة ، ووضعها في كف أبي ، وهو يقول :

- يا معلم ! أرجو أن تتبعث بأسرع ما تستطيع ، صياديـن إلى الغابات التي ذكرت ، ليصطادوا لي ما يمكنهم من هذه الحيوانات ، وأنا أدفع لهم فيها ما يستحقون من ثمنـ.

فالقى أبي نظرة إلى ذات المئة ، وقال وهو يبتسم :

سيدي المحترم ! يسعدنا أن نلبـي طلباتكم بأقصـى ما تستطيعـ من السرعة . أعدكـ بأن أقدم لكـ ، بعد يومين لا أكثر ، خمسـة عشر جـلا على الأقلـ من أـخفـمـ الجـلـودـ.

شكـرـ التـاجـرـ الدـمـشـقـيـ أـبـيـ عـلـىـ حـسـنـ تـجاـوبـهـ ، وـتـمنـيـ التـوفـيقـ للـصـيـادـيـنـ.

وـماـ هوـ إـلاـ يـوـمـانـ ، حـتـىـ كـانـ الصـيـادـوـنـ يـتـوارـدـونـ إـلـىـ الـفـنـدـقـ وـيـطـرـحـونـ فـيـ فـنـائـهـ

ماـ أـتـواـ بـهـ مـنـ جـلـودـ .. وـقـدـ كـانـتـ كـمـاـ يـلـيـ :

\* حاجـيـ أـرـتـينـ المشـهـورـ : جـلـودـ ثـلـبـيـنـ وـأـرـنـبـ وـأـنـبـ وـأـفـعـيـ ذاتـ قـرونـ.

\* اـنـتـرـانـيـكـ الشـجـاعـ ، مـنـ الصـخـرـةـ : جـلـودـ خـنـزـيرـ وـقـنـفذـيـنـ وـأـرـنـبـينـ.

\* جـانـوـ اـسـكـورـانـيـ : جـلـودـ اـثـنـتـيـنـ مـنـ بـنـاتـ اوـيـ وـقـنـفذـ وـضـبـ.

\* هـارـوـتـ القـارـادـاشـيـ : جـلـدـ تـيـسـ بـرـىـ وـجـلـدـ غـزـالـ.

\* خـروـشـيفـ ، مـنـ الـكـرـمـ العـالـىـ : جـلـودـ ثـلـبـيـنـ وـضـبـ.

\* آـرـامـ الـبـاشـورـدـشـ : جـلـدـ تـيـسـ بـرـىـ ، وـحـمـامـتـانـ هـدـيـةـ لـأـبـيـ !

\* آـرـامـ الـقـارـادـورـانـيـ : جـلـودـ قـطـتـيـنـ بـرـيـتـيـنـ وـفـرـخـ دـبـ.

\* أرشاق الجيتاري: جلود أفعىين بشاربين وضب.

نوريتس الكوركوني : جلد ثعلب ماء ،

\* شاب من النبعين: جلدا جملين

بدأ أبي سعيدأ بما أنجزه صيادو بلدته كسب، وفخوراً بشجاعتهم .

وقد هنأهم من صميم قلبه، وشكرهم فرداً على مبارتهم لتحقيق طلبه.. ثم أسرع

يرتقي الدرج إلى غرفة النزيل العزيز ليبلغه الخبر.

ثم ما إن صافحت عينا التاجر وجوه الصيادين، ومرّ بهما على الجلود المكدة، حتى

بدأ عليه الاعجاب الفائق، وصاح:

- كل هذه الجلود في يومين؟

- ثم أخذ يتفحصها، وهو يقول:

- يا سلام ! كلها في حالة جيدة!

وأخرج محفظة نقوده، وأخذ يدفع لكل واحد من الصيادين ما يستحق ثمنا لجلوده.

وأما حاجي آرتين، فإنه -لحظة دس في جيبه خمسا من ذات العشر ليرات - مال على

أبي ليهمس في ذئنه:

- قبل للرجل أن يعود في الأسبوع المقبل ! فإن الحيوانات المفترسة تتزايد عندنا يوماً

بعد يوم !!.

\*

وسرعان ما أبدى الرجل رغبته في أن يسافر في غدہ التالي، فقال

- أرجو أن تدبر سفرى إلى اللاذقية.

فحجز له أبي المقعد المجاور للسائق كارنيك، وفي الصباح رافقه حتى الساحة، حيث

أشرف بنفسه على تحميم الجلود، بواسطة الحمالين خليل ومصطفى، على ظهر الباص

المتجه إلى اللاذقية.

بدأ الامتنان على الرجل واضحا ، وشكر أبي بكلمات حارة. وقبل أن يصعد إلى

الباص، خطرت لأبي خاطرة أسرع يعرضها عليه.

- مندى فكرة .. (وأخذ يتكلم بعربية مكسرة) ترى، هل توافقكم جلود القطط

البرية؟ فإن في بلدتنا كثيرا منها! أطرق الرجل هنيهة ، ثم مسح جبهته، وقد ارتسمت على فمه بسمة واسعة ، والتفت إلى أبي يحيى:- إنها فكرة جيدة! أرى أنكم في هذه البلدة ، نشيطون ومفكرون ، أهنتكم من أعماق قلبي.

ودون تردد مدّ يده إلى جيّبه ، ودفع لأبي مئة ليرة على الحساب ، وقدم له بطاقة بعنوانه بدمشق ورقم هاتفه ، وقال:- يوم يبلغ عدد القحط البرية ، الحتسبة ، خمسين أو خمسا وسبعين ، فأخبرنى لأحضر فورا ، ونقوم بإجراء الترتيبات المناسبة . وغنى عن البيان أن « أم المئة » كانت تعد -في ذلك الحين شيئاً كبيرا ، فلم يكن من السهل على المرء أن يكسبها بسهولة ، وإن أسرة كان يمكنها أن تقتات بهذا المبلغ مدة ما.

راح أبي يفكّر في الطريقة التي يحقق بها لتاجر الجلود ما اقترح عليه من مشروع ، مستفيداً من ذات المئة الليرة هذه ، حتى جفاه النوم . إلى أن التقى يوما ، وهو عائد من السوق ، صاحب « اصادرر قالايجيان » . وكان هذا قد سمع بقصة زيارة تاجر الجلود لكتب ، فقال لأبي ، دون مقدمات ، وفي صوته أسف واضح:-

ـ عمى جورج ! أنا أيضاً ، عندى جلود ! ليتك كنت أعلمتنى بالأمر .

ـ فقال أبي:-

ـ لا تأسف ، يا اصادرر ! فالرجل عائد إلينا عما قريب !

ـ وحكي له أمر الخمسين قطة البرية ، أو الخمس والسبعين ، التي يتعمّن حبسها حية في أحد الاصطبلات ، قبل أن يقوم بإبلاغ التاجر هاتفيا ، فيسرع بالمجيء ، والتسليم ، ودفع الثمن !.

ـ فقال اصادرر:-

ـ أنا رهن إشارتك ، بروحى وجسمى ، يا عمى جورج ! وأؤمئ إلى بيتك ، لحظة تريد تجدنى حاضرا .

فقال أبي:

- لقد لقيتك في الوقت المناسب .. وتناوله ورقة من ذات الخمس والعشرين) هذى سلفة ، يا أصادور .. وبعد أن تقنصل القلطة المطلوبة وتحبسها في إصطبل تزال حلقك كاملا.

ولما كان الأخ أصادور قال يجيئ يعاني من البطالة منذ حين وقد تراكمت عليه الديون فقد جاءه عرض أبي ، المuron بالليارات الخمس والعشرين ، منقذاً له من وضعه التعيس ، ومفضياً به إلى درب السعادة .. قال :

- أبشر ، يا معلم ! أمهلني أسبوعاً واحداً ، فأتتصيد لك القلطة أعدك صادقاً.

بعد أيام ستة ، ظهر أصادور في فناء فندقنا ، وهو يصيح :

- القلطة جاهزة ، يا معلم ! خبر التاجر ليأتي ويتسلم ماله حالاً ، فالامر لا يحتمل التأخير . بدأ الحيوانات تثور ، وهي تتربص بعضها ببعض ، تريد كل واحدة أن تنقض على الأخرى ، حتى بات من المستحيل على دخول الأصطبل لإطعامها !.

قال أبي ، وهو الذي يعرف في أصادور ولعه منذ الصغر بتعذيب الحيوانات :

- بوركت جهودك ! كم قطة قنصلت ! منذ مدة وأنا أفتقد مواء قطتنا ، فحرزت أن تبضحك الحديدية قد وصلت إلينا !.

أجاب أصادور :

- العدد الذي طلبت وأكثر ، يا معلم !

فأجاب أبي :

- ولكن يؤسفني أن أبلغك ، يا أصادور ، أني تلقيت ، أمس ، من التاجر ، رسالة يعتذر فيها عن شراء القلطة ، ويقول إن سوقها بات كاسدا بسبب اندلاع الحرب العالمية .. وينصح بإطلاق سراح ما اقتتنصناه من قلطة !!.

### كاهن قريتنا

كان في بلادنا كاهن يدعى « هوانيس تونتيان » . وكان رجلاً قوياً جهوري الصوت ، رائعاً ومحبوباً من الجميع لطيب نفسه وحسن خلقه . ومع أن أبي كان ينتهي ، بمذهبـه ، إلى الطائفة البروتستانتية ، وينتمي الكاهن

إلى الطائفة الأرثوذكسيّة، فإن أبي كان معجبًا ، بل متعلقاً به ، إلى درجة أنه كان يتربّد بين الحين والحين ، على كنيسة الأرثوذكس ، كي يستمع إلى وعظ هذا الكاهن ويستمتع بالاسفاء إلى ترتيله العذب النقي .

ومما ذكره أن الكاهن لم يكن يدخل علينا بزياراته ، فكان يدخل بيتنا ويتصرف بيتنا كما لو أنه في بيته ، فيأكل ، ويشرب ، وينشد . وأذكر أني رأيت أبي ، يوماً - والكافن ينسد أغنية «اللقلق» للموسيقار «كوميداس» هذا المرح جداً - يبكي !.

وكثيراً ما رأيت هذا الكاهن يخلع مسوحه السود ويرميها جانبًا ، مشارك الناس حياتهم اليومية ، ومشاكلهم أفرادهم وأتراهم .. بقدر ما كان محباً للمزاج والضحك العريض ، فكان وهو في زيارتنا يتنافس مع أبي في سرد النكات والحكايات المسلية .

ذات يوم قال أبي يسأله :

- يا محترم ! إني لأراك ، وأنت تتلو قداسك على ميت ، تبدو حزيناً يفوق حزن أهله ، فكأنه منك وقد فارقك ! وأراك ، وأنت تبارك لعروسين ، تفرح لهما أكثر من فرح أهلهما بهما ، فتزيد من تعلق كل من العروسين بالآخر وشغفه به ! فهل تفعل هذا عن صدق .. أم ماذ؟ .

فأجاب الكاهن :

ـ يا جورج ! إذا لم يشعر الكاهن بمسرة الفرحانين ويالم لالم المحزونين ، فائي كاهن هو؟ ،

ـ وأطلق ضحكة عريضة ، ومضى إلى شاته .

### موسيس محشيكان

في شتاء بعيد، أندلقت مياه السماء كلها على «جبل الأقرع» الرابض فوق بلدتنا، وجرت سيول هوجاء لم تكتف بما حملته معها من التربة الحمراء ، بل جرفت في طريقها صخوراً ضخمة هددتنا بالدمار ، وسدت منافذ الوادي العظيم . وارتقت به في ذلك ، المياه حتى غمرت الجسر الذي يربط بين جانبي البلدة، واقتصرت الحوانين وجرفت ما فيها وألقته بعيداً حيث لا يعرف أحد . وكان هدير السيول يبعث الرعب في النفوس ، حتى اضطر ساكنو البيوت على جانبى مجرى السيول إلى الجلاء عن دورهم

والنجاة بأنفسهم إلى الأعلى خوفاً من انهيار البيوت على رؤوسهم أو من انجازفهم هم مع مياه السيول المتداة.

أجل، جرت السيول هكذا بمياها الحمراء، وانقسمت البلدة إلى شطرين ، لا يستطيع ، أو لا يجرؤ ، من في هذا الشطر على الانتقال إلى الشطر الآخر . وتعاطف الناس مع الفحایا ، ففتحت بيوت الأمتين لايواء الذين تشردوا ، ولم يخلوا عليهم بما عندهم لمواساتهم.

ومن حسن الحظ أن هذه المحنـة لم تطل . فقد انقطع في صباح اليوم التالي ، وأقبل المطر ، وغاصت السيول ، وانحسرت المياه عن الجسر وعاد الناس إلى أعمالهم . كان أصحاب الحوانيت أكثر الناس تضرراً بهذا السيل المفاجئ ، وعلى رأسهم السيد «موسيس محشيكيان» بائع الأقمشة ، الذي يقع حانوته عند رأس الجسر الأعلى ، فقد جرف السيل محتوياته كلها ! ولكن الأمر كان مختلفاً عن السيد موسيس ، ذلك أن السيل لم يكتف بأن جرف ما في الحانوت من الأقمشة ، بل أخذ معه الدفاتر وقد سجلت فيها الديون على أهل القرية لما كانوا قد ابتعوا منه من الأقمشة بالدين قبل السيل ، فقد بذلك مستنداته عليهم !

لم تقع أضرار في الأرواح ، وتقبل الناس أضرارهم في الأموال برضى وتسليم ، إلا موسيس محشيكيان ، الذي فقد صوابه ، وراح يكلم نفسه شاكياً حظه العاشر الذي جعل السيل يجرف دفاتر الديون ، فكانت خسارته بذلك مزدوجة !

ولكن من ذا الذي يهتم بما خسره السيد موسيس ، أو السيد واهان ، أو السيد وارطان ؟ .. بلاء عام ، غضب من السماء ، نزل ، ومضى .

كان السيد موسيس إنجليساً ، وكان عضواً في مجلس الكنيسة ، مثله مثل أبي ، الذي كان أبوه - جدـي - تاجراً في ما مضـى من أيام . وكان السيد موسـيس يـعرف ذلك ، ف جاء إلى أبي ، وتأبـط ذراعـه ، وقال يـحدثـه في جـدـه ، وهو لا يـعـرفـ المـذاـحـ :  
ـ سـيدـ جـورـجـ ! أـنتـ تـعـرـفـ مـدىـ الخـسـارـةـ التـيـ لـحـقـتـ بـيـ مـنـ هـذـاـ السـيـلـ .ـ ولـكـ الـأـنـكـيـ  
ـ أـنـ السـيـلـ جـرـفـ دـفـاتـرـ دـيـوـنـيـ الـمـسـتـحـقـةـ لـىـ عـلـىـ النـاسـ ،ـ فـلـيـسـ يـمـكـنـيـ بـعـدـ تـحـصـيلـهـ !ـ)  
ـ وـسـدـ نـظـرـةـ إـلـىـ وـجـهـ أـبـيـ)ـ لـقـدـ فـقـدـتـ كـلـ شـيـءـ .ـ وـلـاـ أـعـرـفـ مـاـذاـ أـفـعـلـ .ـ وجـئـتـكـ الـآنـ أـنـ



تدلى على طريقة أسترد بها ديونى على الناس ، ولا أشك فى أنك واجد لى حلا ، فقد كان أبوك تاجرا مرموقا ، وإن عندك خبرة فى هذه الأمور .

لم يعر أبي كبير اهتمام لاقوال السيد موسيس ، وأراد التخلص منه . لكن السيد موسيس كان متمسكاً به ولا يريد إفلاته . وتراءى له أن يعرض على أبي . وكان هذا أقصى ما يستطيع التنازل عنه ! - أن يمنحه عشرة بالمائة من مجموع ما يحصل من ديونه المضيعة !.

ولما لم يجد أبي مفرا من أن يبدى رأيا ، قال :

- أسمع ، يا سيد موسيس ! أنا لا أجد مسوغاً لكل هذا الحزن الذى تحمله فى صدرك . أنت حقاً فقدت بضاعتك ودفاترك . ولكنك كنت تبيع الناس بضاعة بأضعاف ثمنها ، لأنهم يأخذونها بالدين . ولسوف تأتى غداً ببضاعة جديدة ، تبيعها لهم ، بالدين أيضاً ، وبأضعاف مضاعفة .. وهكذا تقطع من رقاب الناس كل ما جرفه السيل من بضاعة ومن دفاتر ديون ، فلم تبكى وتحزن ؟ !.

وارتاح السيد موسيس لهذا القول ، وقبل أبي من جبينه عرفانا بالجميل .. ومضى وقد اعتزم أن يسلخ جلود أهل القرية كلهم !.

# الأحداث

قصة: ادوارد فوكس\*

ترجمة: طلعت الشايب

في الأسبوع السادس للأحداث ، ذهبت لزيارة أستاذاني في المستشفى . الفيلسوف المجنون . وجدت جالساً في السرير يقرأ جريدة ، وهو يرتدي ثوباً أبيض ردى المظاهر لا يغطي جسده بالكامل ولكنه كان مناسباً تماماً إذ جعله يبدو مثل الملائكة . شعر الأستاذ الأبيض الأشعث يصنع حول رأسه المجنون حالة بيضاء ، أما الأدوية فقد جعلت بشرته تبدو شاحبة وشفافة لكي تكمل مظهره الأثيري . ركز الأستاذ بصره على فور أن دخلت الجناح . المستشفى يقع في أحد ضواحي "باريس" ، وهو بناء قديم من آخر آثار الامبراطورية الفرنسية . الممرات طويلة والأجنحة واسعة ورعاية المرضى تتم بأسلوب عسكري صارم . ولكن لا يضطر إلى رفع صوته ، قال عندما اقتربت منه: لاشك أنت تعرف مايفعلونه الان .. أليس كذلك ؟ ( كان مايزال متمسكاً بتلك الصراامة السقراطية التي تميز علاقة المعلم بالتلميذ حتى وهو في المستشفى ، وكان ذلك أمراً مفهوماً .. فقد قضى وقتاً طويلاً هنا ) لم يكن لدى أية فكرة مما يقصد بالطبع ، فرجوته أن يفسر ذلك فور جلوسي إلى جوار سريره .

"السلطات الفرنسية أدخلت سلاحاً سرياً لمقاومة حركة الطلاب . سوف

يستخدمونه في معارك الشوارع. السلاح يتكون من جهاز ذبذبة الكترونى مرകب فى شاحنة مغلقة يولد موجة جيبية بتردد شديد الانخفاض ، ولكن درجة الصوت مرعبة . موجة أقل من درجة السمع الإنساني ولكنها تسبب دوارا وغثيانا لأى شخص يكون فى مجال مائة متر من المصدر. أثرها مؤقت ولكنها تصيب الشخص بالعجز التام غاز مسيل للدموع أقل من سرعة الصوت

انتبهى ذهول شديد على الفور ، وكان على أن أركز جيدا لكي أمنع نفسي من الضحك على فكرة الأستاذ الخرافية . كنت أعرف شطحات خياله فى أزماته العقلية المتكرة ، وكان ذلك نتيجة طبيعية لما أصابه من مس .

قلت : رأيتكم تقرأوا الجريدة بينما أنا هنا لأخبرك بما يحدث . تصورت أن الأخبار لا تصل إليك هنا . انزعج لذلك بشدة : « أنا أقرأ الصحف يوميا وأعرف ما يشغلكم أيها الجنوحون ! ». قال ذلك بابتسامة واهنة مؤكدا على الكلمة التي كانت افتتاحية " لوفيجارو " قد وصفتنا بها قبل أيام . ثم انتبه للكدمة الظاهرة على وجهتى فسأل : هل ضربت بهراوات الشرطة ؟

" لا ! ليس بالضبط ! " ثم رویت له ماحدث :

ليلة أمس ، وجدت نفسى منجرفا مع مسيرة معظمها من طلبة جامعة " نانتر " الذين كانوا فى طريقهم إلى " السوربون " التى كانت الشرطة تحتلها منذ ثلاثة أيام . كنت قد تناقشت مع طالبة من " السوربون " بعد إحدى الندوات عن فكر " ماوتسى تونج " وعرفت منها أنها ستذهب معهم . فتاة شديدة الذكاء والجاذبية بالرغم من سذاجة أفكارها السياسية ، وكانت أولى أن أراها مرة أخرى . وهكذا التقينا خارج " السوربون " فى نفس الوقت الذى كانت المظاهرات تدخل فيه الحى اللاتينى ، فانضممنا إليها ورحنا نردد معهم هتاف " لا للقمع ! اطلقوا سراح رفاقنا ! " وكنا طبعا نقصد مئات الطلبة الذين كانت الشرطة قد ألقت القبض عليهم منذ أن احتلت الجامعة .

وعندما اتجهت المسيرة إلى شارع " سان جاك " ، وجدنا أنفسنا في الصف الأول تقربيا وجاها لوحة أمام طابور مزدوج من شرطة مقاومة الشعب يسد الطريق . كان لابد أن نقف أمامهم ولكن معظم المتزاحمين خلفنا لم يكونوا قد دخلوا شارع " سان جاك " بعد ، ولأنهم لم يروا أفراد الشرطة الذين يبلغون الطريق ، واصلوا تدفقهم وتدافعوا من خلفنا لكي نجد أنفسنا في المواجهة ، وأثناء ذلك كله كان هتافنا

يتواصل : " اخرجوا من السوربون ! اخرجوا من السوربون !" ونحن نشير إليهم بأصابعنا على نحو يحمل الكثير من اللوم والاتهام ، فهم الذين كانوا قد احتلوا الجامعة . لا أعرف ماذا حدث بعد ذلك سوى أن الشرطة كانت تنهال بالهراوات على كل من أمامهم . اتخدنى أحد أفرادها هدفاً له ، وتقدم نحوى رافعاً سلاحه فركضت إلى الرصيف لكي أتفاداه ، لكننى عثرت بشئٍ ما ، فدخلت برأسى في الطاولة والكراسي الحديدية المرصوصة أمام المقهى . جلس فترة عيناي مغمضتان وذراعاي على رأسى بينما المعركة مستمرة من حولي . وعندما رفعت رأسى لم أجد أثراً للبنت فى أي مكان ولم تكن المعركة قد توقفت بعد فقمت والتحقت بالطلبة . كان شعوراً مدهشاً في الشارع . مشاعر الخوف والإثارة كلها تجمعت بداخلي وأحسست بوميض لحظى من البهجة الغامرة ، كنا نقاوم الشرطة وننصر عليها .

رأيت بعض الناس يقتلون أحجار الشوارع ويلقون بها على القوات وفعلت مثلهم ولأعرف إن كان الحجر الذى ألقيته صوب أصحاب الزي الأزرق قد أصاب أحدا منهم أم لا .

نظرت إلى الأستاذ كائنى ابن ينتظر تعبير استحسان لعمل جيد قام به . كنت أصف له كل شيء في حركة الطلاب ، فالأحداث التي وقعت كلها بدأت كتعبير عن الوفاء للمعلم الذي علمنا في حلقاته الدراسية الكثير والكثير عن الثورة الاحتمية وعلم الماركسية المتجدد . كنا الآن نقوم بالثورة . وكانت الدولة ترتجف أمامنا وتبعد على وشك السقوط . هذا الرجل الطيب كان هو الأب الروحي لحركتنا بالرغم من نوبات المرض المتلاحقة ، وكنت أنا أول واحد من طلابه والوحيد الذي جاء إلى هنا ليتعرف له بدوره العظيم . كنت أتصور أن ذلك سيرفع من روحه المعنوية ويساعد على ترميم قواه المنهكة . لكن يبدو أن الآخر كان عكسياً .

قال الأستاذ متلثثاً وبصوت مجده : " هذا ليس موقفاً سورياً ! " وكان يبدو منهكاً حزيناً . حركتكم تمرد أيديولوجي وليس ثورة سياسية " ثم توقف عن الكلام برهة . كان يحاول أن يستدعى المصطلح الذي يريده ، من ذهن طمسه التداوى . " موقف ثوري فقط من الناحية الذاتية ، تحررى ، لوكسمبورجي جديد . ولكنه ليس الموقف الثوري الصحيح ! إنكم تعيشون وهما ! " لكن تلك هي المسألة ! نحن رغبة من التحرر ، وشعارنا هو : كن واقعياً واطلب

المستحيل! نحن ننزع أحجار الشوارع ونبحث تحتها عن الشاطئ".

"هذه يوتوبيا! وأنت تعرف مقاله "لينين" عن اليوتوبيا! أليس كذلك؟"

"لا!"

"اليوتوبيا اضطراب طفولي يمكن الشفاء منه إذا عولج جيداً".

وعندما نظرت إليه مرة أخرى كانت عيناه مغمضتين فتسالت في هدوء وانصرفت.

في تلك الليلة ، كنت أتناول العشاء مع صديقين : "جورج" و "الآن". زميلي في الكلية . في تلك الأيام كنا على درجة من الطيش بالرغم من أننا كنا نعتبر أنفسنا أفضل من كثريين غيرنا من مشاغبى "السوربون" وكتلاميد للأستاذ المشهور كنا - بالفعل - المستولين الأيديولوجيين عن الحركة . على مدى الأسبوع الماضي كان "جورج" يؤدى واجبه الخطر وهو كتابة الشعارات - الغامضة والعميقة المعنى بخاصة- على جدران الشوارع الضيقة فى الحي اللاتيني. كان يقضى أياما كاملة فى غرفته لكي يجهز اللوحات ثم يتسلل من النزل ليلاً ومعه علبة "سبراي" . كان "جورج" يستخدم حروفًا كبيرة ومستقيمة دائمًا ، ويحرص على دقة العبارات وعلامات الترقيم ، وكانت تلك هي أطول الكتابات فى كل المنطقة . ولذلك كانت تفتقر للاختصار الذى يجعلها أشبأ بالعبارات المأثورة ، كما أنها تتطلب وقتاً أطول لرسوها على الحائط ، الأمر الذى قد يعرض "جورج" للقبض عليه . ومع اقتراب كل ليلة ، كان ينتابه القلق وهو مقدم على المهمة الخطيرة التى تنتظره. قال "جورج" متوجهًا : ليلة أمس ، كتب شعارًا جديدا على الحائط بجوار مخبز "الإيتواو" . عبارة تقول: صورة الموت ، النفس الحقيقية للنائم : عد ، المقموع ! " ومامعني ذلك؟"

"هذا اقتباس من "لو كان"

قال "الآن" وهو ينفع بازدراء "هراء برجوازى"

وقلت أنا : "هذا شيء شديد الإلغاـز . لا أفهمـه . ولا أعتقدـ أن أحدـا آخرـ سيـفهمـه ! هل تذهبـ هذهـ اللـيلةـ مـنـ فـضـلـكـ وـتـضـيـفـ هـامـشـاـ توـضـيـحـيـاـ .. وـرـبـماـ بـبـلـيـوـجـرافـيـاـ أيـضاـ"؟

جفل "جورج" قائلاً : أخشى الشرطة !

ثم رويت لهم ما كان من أمر زيارتى للأستاذ فى المستشفى وكيف كانت



خيرى وخيبة أملى كما قال.

قال "الآن": أنا لا أعرف لماذا تأخذه على محمل الجد هكذا!

إنه شخص محبول ولا أكثر من ذلك . نصف وقته يقضيه مخدرا حتى عينيه ولا يعرف أى يوم من أيام الأسبوع ولأى بلد هذا. تقول إنه منظر مهم ، ولكنك لم ينشر أى شيء تقريرا . كما أن هناك إشاعة عنه ، كما تعرف ، بأنه لم يكمل قراءة " رأس المال "

لم يتخط الفصل الأول لأنه لم يفهمه ، ويرعبه أن يكتشف الناس ذلك. ثم إن مساقاته الان - هنا - والشرطة تطلق رصاصها المطاطي وقنابل الغاز كل ليلة وتكسر جماجمنا بينما هو ملقى على سريره ، متربط لاحول له ولاقوة؟" تلك هي المسألة . أن تكون مجتننا ، ذلك هو الرد المنطقى «والطريق الوحيد لشخص عقلانى ».

" رد على ماذا؟ "

" أنت تعرف مانعارضه جميما . نحن ضد العملاق الفاشى فى فرنسا . ضد ديجول . ضد الحرب فى فيتنام . ضد الكنيسة . والأسرة . ومايدعونه بالجهاز الأيديولوجى للدولة بما فى ذلك الكلية نفسها . وانسحابه أمر منطقى وصائب . إنه فعل رفض إيجابى وفعال . رفض لأوضاع وصلت إلى أقصى درجات المرض .. عندما تواجه النفس بموقف داعر كهذا ، لا يكون أمامها سوى خيار واحد ، وهو أن تقوم بإضراب نفسى عام وتدخل فى حالة جوانية من الاضطراب الشورى .

قال "الآن": وهذا أيضا خواء برجوازى !  
فى الأيام القليلة التى تلت ذلك تفاقم الموقف فى الشارع وتصاعد إلى ذروته . كانت الحكومة مازالت رافضة أن تطلق سراح الطلبة المقبوض عليهم فى حصار السوربون ، والجامعة مقلقة بالرغم من الإعلان عن أن المحاضرات سوف تستأنف ، وباتت المواجهة مع السلطات أمرا حتميا .

وفي يوم الجمعة ذلك ، كانت شوارع الحى اللاتينى قد تحولت إلى كرنفال ثورى ، محاضرات فى الهواتء الطلق ، أعلام حمراء ترفرف على التواذن . رأيت الشاعر السيرىالى "أراجون" عضو الحزب الشيوعى资料 法语原文为 "الفرنسي" وأحد رموز النظام القديم ، وسمعت هتافات الازدراء والتندى تتصاعد ضده من الرصيف الذى كان يتقاسمه مع زعيم جماعتنا " دانييل كوهن بندت !!

في تلك الليلة حسمت المسألة . تقرر أن تقوم مسيرة تطوف بشوارع الضفة اليمنى للسين ، ولكن الشرطة أغلقت كل الجسور . ولذا تم اتخاذ قرار فوري باحتلال الحي اللاتيني . كنت وسط حشد كبير تجمع في شارع " جاي لو ساك " ، وشعرت بوخز الخوف والترقب يتجمع بداخلي . وفي لحظة ما ، شاع بين الحشد أننا لابد أن نشرع في إقامة حواجز ومتاريس ، فاكتشفت جماعة منا أحد مواقع البناء وذهبنا لإحضار المواد وكدسناها في الشارع بارتفاع مترين تقريبا ، وكان آخرون يفعلون الشيء نفسه في أماكن أخرى عندما هبت العاصفة في الثانية صباحا تقريبا وداحتمنا الشرطة . في هذه المرة كانوا يستخدمون القنابل بالإضافة إلى الغاز المسيل للدموع المعتمد والهراوات ، لأنني سمعت عددا من الانفجارات المختلطة بصفارات الإنذار المرعبة . الأضواء الزرقاء الدوارة الصادرة من عرباتهم كانت تنشر أشرطتها المتتابعة على واجهات المباني المحيطة .

ووجاء شعرت بغثيان قوى وبدأ رأسى يدور على ثلاثة محاور . اندشت ركبتي فوقعت على الرصيف . الشئ الوحيد الذى أتذكر أننى رأيته قبل أن يغمى على ، كان عربة مقفلة غريبة الشكل ، مفتوحة من أحد جانبيها ويدخلها مخروط هائل أسود اللون . بعد أسبوع نشرت " ليبراسيون " أن ما يقدر بمائتين شخص قد ظهرت عليهم نفس الأمراض الغامضة التى لم تكن أبداً أعراض الغاز المسيل للدموع . لقد تم استخدام سلاح سرى جديد كما قالت الجريدة ، بالرغم من أن البعض كان يرفض ذلك التقرير ويعتبره هلوسة جنون !

\* ادوارد فوكس:

من مواليد نيويورك (١٩٥٨) ويعيش في لندن . كاتب وصحفي حر أصدر كتابا واحدا بعنوان " ممالك غامضة: رحلات إلى بلاط ملكي بعيد " . نشر عددا كبيرا من القصص القصيرة في الصحافة الأدبية في بريطانيا .

قصة

## الغرابة

# لاتليق بالعشاق

فاضل البياتى

كان قراره بالعودة لا يحتاج إلا للزمن المناسب لتنفيذـه .. وهو زمن تمناه أن يكون قريباً .. لكن بينه وبين البستان موج عالٍ وضيق وقد لا يقوى على العبور كي يصل للمكان الذى أحب ..

قبل أكثر من عام ..  
كان ثمة خنجر يتلامع نصله الفولاذى تحت وهج الشمس وقد نامت قبضته فى راحة الكف الأيمن لجثة رجل فى الأربعين ..  
قبل أكثر من عام ..

أخبرتنا العصيفورة أنها شاهدت الجثة ملقاة عند ساحل البستان بعد ما حملتها الأمواج العالية ..

جثة الرجل لم تدفن .. فقد بقيت مهملاً مرمية فى العراء طيلة الزمن الفائت ..

.. أيتها العصفورة - أخبرينا ما الذي حل أخيراً بالجثة ..

... أخبرتنا ..

- هنالك زهرة بريءة طلعت من صدر الجثة من موقع القلب تحديداً .. وقد مالت  
الزهرة بساقها النخيل نحو البستان ...  
وتطير العصفورة بعيداً .. وتطير شائعات وأقاويل كثيرة دارت حول ذلك  
القتيل .. وحول الجثة ..

قال البعض

- إنه انتحر حزناً ..

وآخرون أكدوا أنه انتحر حباً ..

وهنالك خبر يزعم أنه قتل خنقاً .. وآخر حسم الأمر وعلل الحدث بأن الرجل كان  
لا يحسن السباحة كي يعبر حتى جهة البستان .. أقاويل .. وروايات .. كلها لاتفensi  
لحقيقة ماجرى في ذلك الصباح الصيفي الساخن على أرض بستان النخيل ..  
.. بيد أن العصفورة وحدها هي الشاهد الوحيد ..

.. أخبرتنا العصفورة ثانية ..

- عند بزوغ الفجر تركت عشى الكائن فى أعلى نخلة .. شاهدت الرجل ممداً  
ومبللاً بالماء حتى خيل لي أنه قد أنهى استحمامه فاشتبه الرقاد على الساحل ..  
.. وماذا بعد يا عصفورة؟ ..

- حينما عدت إلى عشى غروباً وجدت الرجل لم يغير موضعه .. غير أن هنالك  
أمراً مروعأً قد حدث له ..

.. أقصد مباحثت لجثته ..

.. أخبرينا يا عصفورة ..!! ..

.. وقبيل أن تحلق عالياً صاحت صيحة قوية رجع صداها مدوياً من جهة  
البستان ..

- لقد نهشت الجثة من أماكن عديدة ..  
وليس من يفعل ذلك الا الضباع ..

\*\*

في الصيف الماضي كانت الجثة قد تبيست تماماً وانصرم ماتبقى من شحمة  
والحمة تحت لهيب الشمس حتى اكتست وتشربت الرمال الدهن المنصرم .. وعند  
الخريف بدأت مظاهر التفكك على الهيكل العظمي .. بانت الجمجمة .. والقفص  
الصدرى المهمش .. وتطاير بفعل الريح بقايا شعر الرأس الذى كان ينسدل فاحماً  
وجميلأً فى زمن ما ..

وجاء الشتاء .. ونزل المطر .. فتلاحم الطين مع مجموعة عظام متناشرة ..  
وهابه الربيع يشكل وبطريقة عقوبة وطبيعة قبراً تعلو تربته حشائش  
خضراء فيما شمحت بشئ من الوقار وعند موضع قواد الجثة تلك الزهرة البرية ..  
وهي تنحنى بتاجها الوردى جهة البستان وكأنها عابد فى محراب الرب ..

\*\*

قبل أن يحدث ماحدث .. وقبل أن تدور التكهنت حول سر موته .. أو مقتله ..  
هنا لك حكاية أخرى لاتكهنت متضاربة حولها ..  
.. فقد كان مضطراً للنزوح من البستان الذى عشقه .. رحل عنه مرغماً بعد  
ما استشرى ضياع زرعوا الحريق والخوف والظلم والقتل بين النخيل والمساكن ..  
.. لقد رحل .. على أن يعود بيوم ما .. فعاش حقيقى مثله لن يقوى كثيراً على  
البعد ولن يتالف أبداً مع شوارع المتنfi الفاقدة للأمان .. ولا مع الآمسى الجافة من  
الحنين ..

.. فى آخر ليلة .. كان وجيداً مشتعلأ بالشوق .. يرميه رصيف نحو رصيف آخر  
دون أن يدرى إلى أى هدف يسير .. يصفى لضربات أقدامه على بلاطات الأرصنة  
وأسفلت الشوارع .. يهرب من دخان الحالات والمزكيات الصغيرة وضجيج ثرثرة

المارة.. ليدخل لمكان أكثر صخباً وضوضاء.. موسيقاً بصوت مرتفع .. دخان .. روائح الكحول.. شقراوات .. وسمراوات .. يضحكن عالياً بأسلوب متتشابه ويستيقظن كل نهار في مخدع مختلف ومع رجل مختلف..

.. في آخر ليلة .. جلس وحيداً عند طاولة منزوية.

- غداً سأسبح في الخطر لأعبر عائداً نحو البستان..

هكذا قال مع نفسه قبل أن تقترب من طاولة جلوسه رفيقة دائمته له..

- أنت حزين أكثر من أي مساء مضى..

- بل إنني في منتهى الارتياح..

تأملها وهي تقترب برأسها الدائري منه .. لاحظ كثافة المساحيق التي طلت وجهها بها .. وشم نفس العطر الرديء الذي كانت تستخدمه في كل ليلة..

- أسمع ، أنت اليوم مختلف تماماً..

ضحك . وأجاب بفتور..

- أين ذهبت بالأمس؟

قالت باسف مصطنع ..

- أعلم أنك غاضب بشأن ذلك ..

ضحك ثانية بالفتور نفسه .. وأضاف وكان الأمر لا يعنيه .. بل لم يكن يعنيه في الواقع..

- أبداً .. هذا لأنني أعرف أنك تحسبي النسيان..

- مادمت تعرف ذلك .. فلم تتعجب نفسك.. وقهقت عالياً..

\*\*\*

كان قراره بالعودة لايحتاج إلا للزمن المناسب لتنفيذها

.. وهو زمان تمناه أن يكون قريباً .. ولكن بينه وبين البستان موج عاليٌّ وضباب

وقد لا يقوى على العبور كي يصل للمكان الذي أحب ..

- هل ترغب أن نقضي الليلة معاً..  
- لقد مللت البقاء هنا..  
- يبدو أن الحنين عاد ليراودك ثانية..!  
- وأنتِ ألم تتلهفى للمكان الذى أتيت منه؟  
... ضاعت قهقهتها العالية بين البحر المتلاطم بأنواع اللغات والضحكات ..  
والبكاء كذلك .. وأجابت بشعى من الأسى..  
- ألم تقل عنى بأنى أحسن النسيان...!..  
ولكن لم تكن لديك أسباب قاهرة كى تأتى إلى هنا .. و حتى لو كان هنالك تلك  
الأسباب .. ألم يحن الوقت لتصنع دربأ كى نعود..  
- لست أنا الوحيدة التى لا تملك أسباباً.  
- محلك حق .. هنالك الآلاف غيرك ..  
- دعنى أحسن النسيان إذن ..  
- لكننى قررت العودة ..  
- لأنك مجنون .. وتفتش عن موتك بيديك ..  
- ابتسم لها .. وهو ينبعض كى يهم بالخروج واسمعها آخر حوار قاله لها.

- سأعود ومعي إصرار .. وسلام .

\*\*

بعد تلك الليلة ..

كلاهما كان وحيداً .. هي تجلس بمفردها على كرسى من بين كراسى ذات الطاولة  
التي كانت تجتمعهما كل مساء مع أمواج الرواد الصالحين المنتشين .. أما هو فقد كان  
يصارع فى ظلمة الليل مواضع أمواج صعبة من أجل أن يصل إلى ضفاف البستان ..  
حدث هذا قبل أكثر من عام .. ولعل العصافورة ستمضى فى يوم ما إلى تلك  
المتظيرة بين أمواج الصالحين المنتشين لتطلب منها أن تكف عن انتظاره .. فلقد



أمسى ذلك المنفى زهرة عند حدود بلاده يحرسها خنجر مازال نصله حاداً يتربّب  
عاشقًا آخر لا تليق به الغربة ..  
.. أيتها العصفورة ..

هل ستخبرين تلك المنتظرة في ليالي الغربة ، بكل ما جرى له ..

\*\*

#### إفادة ختامية

.. كشفت لنا العصفورة مؤخرًا .. أنها طارت لتخبرها .. إلا أنها لم تجدها  
باتنتظاره ..  
ولقد سر لها نادل المقهى بأنها تأبّطت أذرع أشخاص آخرين من بعده ومنذ الليلة  
الأولى لغيابه ..

## قصة

# بِيلَانْسِي

أحمد الشريـف

عندما نظرت فى عينيها أول مرة قلت : ياه كل ده ...  
أخرجت لى لسانها .

هذه الفتاة دفعتنى للتحليل بعيداً حتى اصطدم جناحاي بالشمس .  
لم أصدق لحظتها أن هذا الوجه وذلك الجسم ينطويان على سر عميق .. كانت  
تحمل بين يديها كلباً أسود ذا لسان كبير ، لا يكفى عن اللهاث ، قالت بعد تعارفنا إنها  
تعيش وأمها وحيدتين ، لم يتبق لهما إلا بيلانسى .  
مات أبوها ، الشرى جداً ، جعل بيتهما شارعاً ، من كثرة الرواد والزوار . أدق  
خصوصياتهم ، كان يعرفها أى صعلوك ، أصيّبت أمها بحالات انهيار عصبي نتيجة  
للصخب والجلبة وكثرة العيون . هذا الوالد كان يعتقد بأن الناس من حوله ، سبب  
استمراره في الحياة ، كثيراً ما تسلل إلى غرفة نومه ، تاركاً ضيوفه وموصياً إياهم  
بعد الرحيل إلا بعد سماع شخيره .. بعد موته أغلقت الأم البيت وأشارت أنها  
وابنتها سترحلان عن المكان بعيداً .. صار الليل يعني لها الجنة وبيلانسى حارس  
بوابتها .

تتعرى تدريجياً ، فتحتفق النجوم من السماء . جسمها عجن من نار هادئة ، عند

اللقاء ، تغمض عينيها ، وتحرك لسانها على شفتيها ، تزداد درجة غليانها ، فتضغط  
بأنسانها على الشفتين مع تشنج في أصابع يدها حتى تعثر عليه ، تتحسسه  
بأناملها ثم يدها وبكلتا يديها تقپض عليه وتقربه من وجهها بوله وتقديس.  
اشتعلت الجذوة بداخلى ، لامفر من هذا التهيج المستمر ، أثناء لحظة القذف  
العصبية التي تأخذنا فيها الغيبوبة ، أتمنى لحظتها لو مت ، لاستريح ، لإشباع أبداً.  
زرت بيتهم واندهشت من تأدب أنها وخلها ، أكدت لي أن بيلانسى هو  
ماتبقى لهم ، خصوصاً هي ، لأن ابنتها كثيرة الخروج .. بعد وقت قصير ، استاذنت  
وأشارت لبيلانسى ، الذي قفز في حضنها من أعلى المائدة وتلقفته بلهفة.

حبيبى ، حبيبى ، معاد الحمام

الفت لابنتها محذره:

اواعي تفتحى الحمام علينا ، حبيبى ياخد برد.

ضمتها لصدرها بقوة ، قبلته في بوزه ودخلت به الحمام.

صارت حياتنا ليلاً . جولاتنا النهارية تتعمد فيها أن تأخذنى للأماكن الغائرة  
والازقة الضيقة والشوارع المسقوفة والبيوت القديمة التي لا تدخلها الشمس وتوشك  
على الانهيار . بفضلها بات الليل دليلي لجسمها وجسم الآخريات . جسمها صار المكان  
الوحيد الصالح للاختباء من قسوة الحياة ، وتحديداً الأماكن الخفية فيه ، كالسرير  
ومنطقة مابين الثديين وتحتها تحت إبطيها وعتمة مابين فخذيها . كانت تقول  
لى .

عايز تشوفنى جميلة تعالى فى الليل!

هي لم تعد جميلة فى الليل ، بل الحياة أمست لامعنى لها إلا فى الليل .. أنتكر  
وجهها بتوره وانقباضاته وحركة يدها المتتشنج على جسمى وهي تضمنى وتتكاد  
أن تبكي . لكم تعذيب وعذبتني معها .

كنا فى شرفة بيتهم ، نتأمل الليل المتد لأطراف الدنيا ، بفترة ، بدأ تغنى:

- بيلانسى ، بشوش ، كده تعضنى في ..

التفت فرأيت الكلب دافساً بوزه ويزoom بشدة.

- إيه ده ؟

- خايف مثلًا

تركتها وأسرعت بالخروج ، لحقت بي ، احتضنتنى ، بلاوعى ، قبضت على رديفها وغزرت أظافرها فيهما وهى تعودى كحيوان جائع فى غابة . مع كل صرخة أو من بقدرة الخالق العظيم على تشكيل هذين الردفين الطريين الممتلئين دون إفراط، إنهمما المعبر لى على جسر الزبد .

تسرد على أنواع الكلاب ، تبوج بسر اختياراتها وأمها لبيلانسى كى يعيش معهما ، إنه هادئ الطباع ، من فصيلة كثيرة التكاثر ، له لسان خشن .. بسبب هذا البيلانسى ، كانت أن تحدث فضيحة على البحر ، فى عز النهار والشاطئ غاص بالناس ، كانت تلعب الراكيت مع صديقتها ، بيلانسى جالس على مؤخرته ، لا يحول عينيه عن صاحبته ، بلا مقدمات قفز تجاهها وبدأ يلحس ، لم تهتم ، زاد الأمر ووقف عند فخذيها وشرع فى لحس مابينهما وهو يجذب المايوه بأسنانه . طوحت الكرة بعيداً لصديقتها ، دارت بعينيها فى المكان بسرعة ، رأت بعض العيون ترقبهما ، بكل قوتها ضربته على رأسه بمضرب الكرة .

\*

- آخر مرة أجيبه البحر .

لحظة تفكيرى فيها كزوجة ، اختلفت من حياتى فجأة كما ظهرت فجأة . لكن لماذا نكرت فيها كزوجة؟ وما سر انجذابى لها ولأمها؟ ولماذا اختارنى أنا بالذات؟ هل أشببهما فى شئ؟ أم أن هناك شيئاً فى الأعمق يجعلنى؟

معهما أو معها ، أشعر أن حياتى غير الآخرين ، وأن هناك سراً مثيراً يدفعنى للحياة ، دائماً أبتهج وأنا بين أصدقائى وسط الصخب وحركة الحياة ، لأنى سأذهب مع بداية الليل لحياة أكثر دفئاً وخفاء .. فى بداية اختفائها ، تصنعت اللامبالاة وقللت لنفسى ، إن هناك مئات غيرها مصابات بسعار الليل ، لكنى أخطأت التقدير ، لأحد مثلها ، النار التى أشعلتها بداخلى ، لم تقدر أية امرأة على إخمادها ، لم أنتبه وهى تقول لي ذات مرة:

- على فكرة أنا زى حلم فى الليل !

- يعني؟

- يعني معننى تقوم الصبح ، لاتشققنى ولا تشوف الليل . وهاؤنا استيقظت ولم أجدها ، أما الليل فسوف يأتي ، كان بداخلى ، مقيناً قبل رويتها لها ولا أعرف لماذا امتنج وجودها . قالت لى أمى ، أنى عندما خرجت من بطنه للدنيا ، كنت

أصرخ وأبكي كسائر أطفال الدنيا ، مع اختلاف صغير ، إن التيار الكهربائي انقطع ، فتوقفت عن المضارع والعويل ، اعتقدوا بموتي حتى عاد التيار متزامناً مع صراغي وعويلي.

الليل كان يعني بسمها ، وجسمها ليل بهيم ، حياة مجهولة أحبها وأخاف منها ، أختبئ في مناخياتها وظلماتها وأتوق في ذات الوقت للشمس والسماء الزرقاء والطبيعة وصخب الحياة.

ونحن في عنفوان الالتحام ، كانت تهذى وتصبح - أنا عايزه الحب عايزه الحنان ، مع كل صيحة ، تتحرك تحتي بتشنج وعصبية شديدة وكانتها كل جزء من جسمها سينفصل عن الآخر ، تلقى برقتها ورأسها يقوعة للخلف مع آه من الأعمق ، ليست آه لذة وإنما آه إنسان يتعدب ويُسْعَى للخلاص . أحس في كل التحام معها ، أن بداخلها شيئاً يبتغي السفر بعيداً ويلاشى في الفضاء وذرات الطبيعة .. هذه الجملة التي كانت تكررها هي وأمها عندما أحدهما عن موضوع محزن:

- آه ياروحى آه ياعيني.

في البداية أثارتني هذه الجملة ولكن بعد ذلك أدركت أنها موجوعتان فعلًا وتحسان بضعف الآخرين واحتياجاتهم. بدلاً عن الجنون ، توغلت في جسم الليل وفي النهار ارتاد البراري البعيدة والغابات النائية والمناطق نصف المعتمه حتى وصلت لجرن قمع .. النجوم في السماء تعكس ضوءها على أكواخ القمح التي تأخذ شكل أهرامات صغيرة . لحت جسمًا ينزل من السماء ويحجب أشعة النجوم ، نفس العينين المحمومتين وانقباضات الوجه ، أعطتني ظهرها وأشارت لاتبعها ، مع كل خطوة يزداد الليل ظلمة وازداد اشتعمالاً وحباً للحياة ، أوتوغل أكثر وأكثر إلى أن أصل لبقعة في الأرض ، لم أر مثلها ، ولم أشعر بجوها من قبل .. في اللحظة الفاصلة بين الليل والفجر ، دنت مني فتحت ذراعيها وابتلعني ، وغضبتنا معاً في الظلام.

## ثلاثة فوانيس كبيرة..

### مسرجة .. في ليل الهوى

محمد عامر فاضل

وأشارت إليه .. بإصبعها!!

[إلى فوانيس رمضان .. الكبيرة والملونة!!]



هجعت أجساد منهكة.

تطول مسافات الليل، ولا ترتخي أعصاب سواده ..  
تبتعد السماء وتعود النجوم ..

الأبواب أغلقت، المصايبخ أطفئت، أحكم غلق أنابيب البوتاجاز .. تحكم النساء  
الغطاء على أطفالهن ..

أيتها السيدة ضعى قطعتك المبللة بالدم في الغسالة  
امسحى عرقاً .. ولا تستحمي الليلة .. الدينار برد .. والصباح رباح.



رأيتها في النوم .. طويلاً وأسمر، عينياً كائناً بهما برق، وكأنهما تضيئان ،  
وكأنهما مصباحان .. وأنا لا أعرفه مدحت يدى لأصافحه ففتح سسته وأنهى  
موضوعه استيقظت وبقعة دم كبيرة في الثوب.

الساعة الثالثة، لم يؤذن لصلاة العصر .. وأبو بنتى فى الحمام.. سمعت خبطا على الباب، وكأنه ضرب على طبلة قلبى.. [اللهم اجعله خير..] .. والحجرة كانت منصنته وسمعتنى الحجرة.

فتى طويل وأسمير، عيناه كائنا تنفرزان فى القلب.. كنت ممسكة بالباب.. وأمسكت يدى حتى لا تحكم وضع القطعة القماش المثبتة فى بوابة الدم.

رفع معى الأطباق .. رفع الصينية وحطها فى المطبخ. وهو يضع السكر فى كبابيات الشاي .. كان يحكى قصة قتل فيها مرتين.. وفي الثالثة فر هاربا.

منذ جاء ورجلى علا صوته وهو يلعب معى لعباً أحمر العينين، ويديه طويلتين، يؤلم الظهر والفخذ، فأضحك بصوت عال، وكلما علا صوته.. سقطت رأس عصفور تحت مصباح الأجاجورة.

منذ جاء ورجلى .. (الذى أعرف كيف يؤدى موضوعه معى..)

يحاول دائما، وكلما صر السرير سقطت رأس عصفور من السقف.

منذ جاء .. وأنا أنام نوماً ثقيلاً وكأنه سفر.. وأجدنى فى صحراء وقد غاب عنى فلا أراه، ولا أعرف كيف أسيير، أنا داير بأعلى صوتي، وعندما لا أجده.. وأتأكد من أنه ضل وأنتى ضللتك أجلس منهارة وأبكي.. ودموعى باردة .. ويسقط فى قلبي أنتا لن نجتمع أبداً.

وضع رمضان فوانيسه فى أرجاء الشقة، والبنت تساعد أباها.. قال [أنت تعبأنا .. مالك فيه إيه؟،]

فسقط قلبي فى رجلٍ .. وأنكرت  
قال .. (العشرة بتقرب النفوس من بعضها، فالواحد يسمع الندا حتى لو كان فى  
المقام).  
.....  
.....  
.....  
.....

التليفزيون .. أمامنا ..

ابتسمت ولم أهتم بكلامه.. [ويا وعدى.. يا وعدى!!].  
الأضواء في الشقة معلقة.. أنت زغاريـد من الشارع سريعة ولها مدى وبفرحة..  
قالت بنتى [هو مين اللي هيتجوز يا ماما؟] .. فرددت حماتى وهى تثبت نظارتها  
بكفيها .. [دا اللي هيتجوز] .. وأشارت إليه بإصبعها.

### الثعبان أخضر

لم أكن جميلة.. ولم يعشقني أحد.. لم أعرف سوى أمي وإخواتي الصغار وأبي..  
لست جميلة.. سمراء ولم يعشقني أحد.. أبي يحبني في سور جديد يبنيه لي كل  
يوم ولم أعشق أحداً.  
شعرى خشن وقصير.. عندما تقدم لي شخص ليتزوجنى .. وافق أبي وأمي..  
كنت راضية.. وكنت صغيرة.. خالي قال لي وافقى واحنا هنفركش الموضوع بعد  
كدا، وافقت.. وبعد أسبوع وجدت المأذون في البيت.. وسافرت.



طويلة وعريبة.. الذي صار زوجي قصير وفلاح.. جميل وناعم.. ولسانه كرباج ..  
روحه في مناخيره .. ويسرق.. صاحب القصر.. وبيأكل في طبقه.



كنت حرانه وجسمى كما لو أن فيه مسامير، بيغلى.. خرجت .. صعدت إلى  
السطح.. كان القمر مكتاماً ومنوراً .. خلعت ملابسى كلها .. ونظرت إلى القمر ..

نظرت فى عينى القمر.. وقلت [يا ربى خدنى.. أنت خلقتنى ليه؟].



نزلت .. كان.. بيترج على التلفزيون وبيفنى، دخلت نمت..  
رأيت ثعباناً أحضر كبيراً يصعد السرير، وكنت أحاول أن أصحو، لكن النوم كان  
ثقيلاً على جفونى .. أحسست بدفء ولذة يخرجان من الشعبان.. عضنى في فخذى  
عضة شديدة ولذيدة.. عندما استيقظت وجدت ماء رجل بين فخذى.



دخلت الحمام.. تطهرت.. ولبست قميصاً جميلاً، ثوباً كنت اشتريته ولم ألبسه..  
وضعت مكياجاً كاملاً، لأول مرة بعد أيام العرس.. كنت مبسوتة وفرحانة .. دهنت  
شعرى.. وسرحته.. وكان عاجبنى.. وحسينت نى احلويت.



طلخت .. ولأول مرة في حياتى أحس إنى عايزه راجل.



تأخر الذى صار زوجى.. واتصل من القصر.. قال.. [تعالى السست الكبيرة  
عايزاك..].

.. الحرير..

ليس هذا كل ما حدث، لكنه بعض من نفسى التى تبعثرت على أرض الرصيف.



عندما كنت تاجرًا للخودة..  
سقطت من يدى حبات مسبحتى.. وأنا أخرجها من جيبى كى أعيد لضمها.. ولم  
يبقى فى يدى إلا الخيط الحرير والمئذنة.  
[دقة بدقة.. ولو زدنا ازداد السقا].  
جملة صريحة عالية.. دوت .. لا يشاركتنى فيه أحد.

٢

ها هو .. السقا.. يدخل على زوجة وفيفية وعاصر.. لم يرها عشرين عاماً من السقاية.. ولم تره عشرين عاماً.. من انتظار الخلف..

٣

ها هو الجوادرجي.. يترك مسبحته .. ويلبس سيدة سوارا من ذهب .. مشغول .. أحمر وجهه .. وضرب فيه الدم .. يتحسس الجوادرجي يدا طيبة.

٤

المسيحة!!  
إنها تتحرك كأفعوان من عقيق.. فأسرع وباع بالثمن البخس .. وراح إلى نفسه يعنفها.

٥

[يالك من امرأة حستاء.. لم أرها منذ عشرين عاماً..] وهنت السقا..

٦

ها هي عتمة النفس تحل على صحن الدار ..  
الزوجة الوفية على بساط أخضر . تسمع طلقات الزير.

٧

ترفع عن زوجها ثوبا تغيرت رائحته.. وتشم من المسبحة رائحة الحناء.

.....

.....

جلس الجوادرجي..  
تقول الجميلة.. [يا حاج .. ماذا فعلت اليوم؟].  
سقط الجوادرجي..  
وها هي النفس.. تتغلق على أبوابها.

## قصة

# حکایة

## العضلة القابضة

عبد الحميد البسيوني



كان صمت، و قطرات مطر خفيفة تنقر الزجاج العريض كمناقير لعصافير مذعورة الزجاج «فامي» بني غامق لนาفذة كافيتريا - على بابا - في قلب ميدان التحرير، وكان غضب، قالت : هذا هو جوى ، بموت فى البرد.. فى الخارج الجو ملبد بالغيوم ، وهى تلف نفسها بالبلوفر الصوف بينما (الجبج) القصير يكشف عن فخذين طويلين محبيين من أثر البرودة - لكن كان غضب. هو - قد نظر من النافذة المستطيلة ، فى حياد ظاهر، لم يكن ينظر إليها ، لم يكن يرغب فى النظر إليها ، لما تمكن - بصعوبة بالغة من رؤية النصب فى قلب الميدان هاجمته برعونة فكرتان محوريتان ، هما الكعكة الحجرية ، والعضلة القابضة.



هناك فرق - بالطبع - بين « الكعكة الحجرية » وبين « العضلة القابضة » ، فالأولى هي قصيدة الشاعر أمل دنقل (الذى اغتيل بواسطة السرطان) والتى كتبها عقب الأحداث الطلابية عام ١٩٧٢.

هى ليست كعكة عرس أو عيد ميلاد ، لكنها التقاو وتشابك أيد وغازات مسيلة

للدموع وضرب بالهراوات وتأوهات وأنشيد وأشعار مؤلفة بنت اللحظة وحناجر تزعق بالهتاف القديم الجديد : كانت جالسة إلى جانبى مقرفة ؛ ظهرنا للمتحف المصرى ووجهنا للنصب ، كنت أريها القطع الذى حدث فى بنطلوسى الجينز الوحيد الذى أمتلكه وهى تدליך الجرح بيدها البيضاء فى حنو شفيف ، كان جندى الأمن المركزى وفي لحظة غضب مفاجئة قد هوش ناحيتنا بکعب بندقتيه وكانت قريبة جدا منه فاشتبكت قطعة حديدية منه ببطن ساقى وتركت أثرا داميا بطول الساق بعد أن تمزق البنطلون السميك ، تكالب عليه الرفاق وأزاحوه بعيداً ، كانت شاهندة السمرى- هي الأقرب لى، قرفصت إلى جانبي وأخذت تجفف الدم بمنديل ورقى كان فى يدها ، ما زال الدم يتدفق ، كان جرحاً غائراً جداً وطويلاً ببطن ساقى ، فوقفت حائرة ، الرفاق منشغلون كجنود فى كتيبة مرتبكة كادت معركتهم أن تنتهي دون نتيجة حاسمة ، كانوا يلتقطون حول الميدان فى فوضى وعصبية دون أن يلتفتوا إلى جرحى النازف ، فقط كانت شاهندة حائرة ، تكتم الدم بيدها التي **غير** الآن بالدم دون فائدة ، ثم قامت فجأة وبهمة ، كأنها قد أخذت قرار حياتها بفك أزرار بلوزتها العلوية ، وانتزعـت «السوتـيان». كان أبيض وباهتاً ومبطن بطبقة من القماش السميك ، ولفته فوق ساقى بحذق ومهارة ممرضة محترفة ، ونسـيت أن تعـيد الأزرار إلى وضعها فبان صدرها ولم تهـم ، استكمـلت ربط الجرح كـأنـه طفل ترغـب في إـنـامتـه ، فيما رـحتـ أنا أـزرـرـ لهاـ الـبلـوزـةـ المـفـتوـحةـ ، وأـسـوـىـ لهاـ شـعـرـهاـ الأـسـوـدـ الفـاحـمـ الذـيـ يـعـوقـ روـيـتهاـ حتىـ أـنـناـ قدـ جـلـسـنـاـ فـوـقـ الرـصـيفـ ، وـسـطـ ضـجـةـ الرـفـاقـ ، مـتـلاـصـقـينـ ، مـهـدـدـيـنـ فـيـ اـنـتـظـارـ أـنـ يـعـلنـ السـادـاتـ الـحـرـبـ أوـ يـكـتـبـ أـمـلـ إـيـهـاـ الـواقـفـونـ عـلـىـ حـافـةـ المـذـبـحةـ..



كان غضب ، فى داخله كان الغضب ، بعد أن قالـتـ «بـموـتـ فـيـ الـبرـدـ» كان الغضـبـ يـفـورـ بـداـخـلـهـ مـثـلـ مـاءـ يـغـلـىـ ، وـكانـ يـنـظـرـ مـنـ النـافـذـةـ العـرـيـضـةـ فـيـرـيـ الـهـيـلـتونـ وـجـامـعـةـ الدـولـ الـعـرـبـيـةـ ، نـفـسـ المـبـانـيـ الـقـدـيمـةـ ، قـدـ فـقـدـتـ روـحـهاـ ، ثـمـ شـئـ غـامـضـ قدـ هـجـمـ عـلـيـهـاـ وـفـرـغـهـاـ مـنـ مـضـيونـهاـ الأـصـلـىـ وـفـكـلـ مـنـ بـنـيـتـهاـ الـدـاخـلـيـةـ ، عـلـىـ الـيـمـينـ الـمـتـحـفـ الـمـصـرـىـ وـقـدـ هـدـهـ التـعبـ وـالـمـطـرـ الـخـفـيفـ يـتسـاقـطـ فـيـ رـتـابـةـ فـوـقـ بـنـائـهـ الـبـاهـتـ ، وـفـيـ الـمـواـجـهـةـ الـنـصـبـ ، آـهـ .. ذـلـكـ الـنـصـبـ ، مـغـرـوسـ فـيـ الـقـلـبـ مـثـلـ عـرـافـةـ

عجز أفقدها التغيير المباغت قدرتها على الرؤية ، والتنبو ، والناس ، ناس القاهرة ، يركضون تحت المطر ، مكللين بالعار ، مهزمون ، يدفعهم بوسهم اليومي المريض ناحية الشوارع الجانبية ، تجاه المبنى الأبيض للجامعة الأمريكية حيث بدأت البناء الفاتنات الآن ، بسيقانهن الطويلة الفاتنة وشعورهن الملونة في المشى الحديث نحو سياراتهن المركونة في مدخل شارع القصر العيني وباب اللوق ، كان مطر خفيف ، وكان غضب ، الغضب يخصه هو ، وحده ، كانت قد جاءت بعده بساعة كاملة وطلبت اللومون بدون سكر وأحضر له النادل زجاجتى البيرة مرة واحدة بناء على طلبه ، وقالت هذا هو جوى وكانت تبتس ، كانت « الكافيتريا » خالية تقريبا إلا من حبيبين جالسين على جنب يتبارلان تلامس الأيدي وتحسس الأجساد ، فى مثل تلك الأوقات كانت تترك الكرسى المواجه له وتجلس إلى جانبه ، تلتصق به ، « علشان نعرف نتكلم » ، وكان هو فى فرح يمسك بكفها الصغيرة الوردية بين كفيه كعصفور يخاف عليه من الطيران المباغت ، ويمسح فوق ساقيها الطويلين الجميلين فى حنو كى يدفأهما من البرد ، لكن كان غضب ، غضب الخاص ، حتى أنها بعد أن أشعلت سيجارتها « كنت » الثالثة قالت وهى تتصنع القلق : آه .. بالنسبة للمرة اللي فاتت .. مقدرتش أفلت .. كان فيه ظرف صعب قوى .. هتسامحتنى .. مش كده ؟ عندئذ بدأ غضب الخاص فى الظهور ، وبدأت اللحظة التى حاولت كثيرا الهروب منها فى التثبت . كان قد شرب زجاجتى بيرة أيضا فى « المره اللي فاتت » وفندق « حور محب » بزيته الفرعونية الزائفة ، وهى لم تأت .

مرت الدقائق وال ساعات ولم تأت ، فاضطر إلى مغادرة الفندق فى الخامسة وهجم عليه شارع الهرم مثل كلب ممسعور ، فى بهو الفندق ومنذ الثالثة كان الإخوة العرب يرددون ويجيئون ، وهم يحملون هواتفهم المحمولة وكأنهم يديرون حركة الكون ، ونساؤنا المصريات فى أعقابهم كانوا مربوطات بحبال النفط ، وشهوة الاستهلاك المدمرة ، يأتى الواحد منهم - الإخوة العرب - وسيالة جلبابه مكدسة بالدولارات فتفتح الثقوب فى شارع الهرم وفى الحوارى وفي قرى الدلتا ، تتفتح ثقوب فى الأنفاق كلها حتى الثقب الثامن المقدس ، والذى على الأخ العربى أن يحدد - طبقا لزاجه الشخصى - إن كان من قبل أم دبر ، مثل كلب ممسعور ، شارع الهرم ، هاجمه أيضا المصهد الذى يطرده الشارع من جوفه وكان الشعور بالموارة لعدم مجيئها قد

بدأ في الصعود ، فجلس على أقرب مقعد حجري تحت مظلة الباص الذي سينقله إلى ميدان التحرير ، كانت المحطة مكشدة بالخلق ، ثم حدث الأمر في لحظة خاطفة ، مبالغة ، غير إرادية ، بدأت الرعشة من أسفل ، من القدمين ، ثم الساقين ، رجفة غريبة كأنها أتية من خارج جسده ، وضد قوانينه البيولوجية الخاصة ، الساقان الآن ترتجفان ، فيضمهم ، ولا يلاحظ أحد من الجالسين إلى جواره أو الواقفين أمامه أو خلفه شيئاً ، فقط يضم ركبتيه ، وهما تستنشجان ، يرتعشان وكأن الروح تخرج منهما تواً ، يضمها بقوة - الركتبتين - وهو يضع كفه بين ساقيه ، ويشعر به ، عضوه غير منتصب ، ساكن ، هامد تماماً ، إلا أن السائل يصعد من ركبتيه ، سائل صلب كثيف ، يصعد بهدوء ، وبروية ، في صبر ، وأناة ، عبر لحم ساقيه وداخل شرايينهما ، متوجهاً صوب كرتبيه الصغيرتين المستكينتين تحت قبضة كفه ، ثم عبر القضيب الساكن أيضاً في قذفة قوية ، مثل البصقة ، سميكة ووافرة ودافئة ، فيغرق غياره الداخلي ، ويحس بالبلل ، وتظهر البقع الداكنة فوق البنطلون ، ويغمره العرق ، فيشعر بالانتعاش المفاجئ ، والسكنينة ، كأنه قد سقط في بئر ماء بارد ، وينسى تماماً أنها لم تحضر ، هو حر الآن ، وهي لاشئ ، بنت وسخة دائرة على حل شعرها ، ينسى حتى الإخوة العرب ، وحور محب ، وشارع الهرم والثقوب الثمانية في جسد المرأة ، فقط الآن هو حر ونشط وممتلى بالثقة والانتعاش .



هو يدخل عالم الكوابيس ، بالرغم من كونه مدركاً تماماً أنه قد نزل من الميكروباص الآتى من الهرم ، وعند نزوله تحت كوبرى أكتوبر كان الموقف الجديد غريباً ، الفندق الفخم الجديد الذى شيد بعنف وقومة رأس المال قد طوى وبحركة واحدة بالكاتدرائية الجميلة التى كانت تتوسط الميدان ، خلف المتحف ، وبيت عمه ميمونة بأذواره الثلاث قد أزيل تماماً ، وكذلك بيت بلاوكى والبيوت الصغيرة المقابلة حتى ورشة توستا وتونى ، كان يقف وهو صغير أمام المنزل ليترقب مذيعات التلفزيون وهن مارات متوجهات إلى المبنى القريب ، يرقبه وهو القروى فى انبهار بين صورهن الصغيرة فى الأبيض والأسود وأجسامهن الحية الآن وشعورهن المرتبة وملابسهن المثيره وهن يتمطرن أو يضممن البلاطى الصوف فوق أجسامهن المشوقة الحلوة . ثم هدير المترو المفاجئ يوقفه وهو يفرمل عند نهاية

الخط، والنيل شاخص تجاهه ولا يفهم شيئاً بالتأكيد ولا يعلق على شيءٍ، ها هي روحه العجوز تترنح وقد ساءها أن يحدث ما حدث، وهو أيضاً كان مبتسأه، فقرر أن يخترق ميدان عبد المنعم رياض متوجهاً إلى ميدان التحرير أو يدخل شارع محمود بسيونى ليستعيد رحلته القديمة منذ عشرين عاماً، هو وإبراهيم ابن عمته ميمونة تلميذ الإبراهيمية الثانوية كان مفطاً لدخول القاهرة، يأخذ إبراهيم فور وصوله إلى شارع سليمان باشا ثم إلى وسط البلد، بنات مصر فرحت كأشفات عن أذرعهن وسيقانهن، بينما الرجال صارمو الوجوه يركضون في الشوارع دون سبب محدد، ثم هو وإبراهيم يأكلان الآيس كريم من جروبى سليمان باشا، الآيس كريم اللذى بالفستق فى قراتطيس من مادة طرية تذوب فى الفم.

هاهو إذن ينتهى من شارع محمود بسيونى ويفكر فى المرور على الأتيليه أو حزب التجمع ، لكنه يركض دون النظر إلى مكتبة مدبولى التى تقلصت الان وبدأت تلملم أطرافها من الشارع إلى داخل المبنى، ثم يعطى ظهره للتمثال البليد الذى يقف بلا معنى ويتجه صوب شارع سليمان وقد بدأ يشعر بالجوع.

(بعد أن شعرت بالجوع تذكرت التابعى الدمىاطى ،عليه بالاتجاه يميناً قبل سينما مترو مباشرةً حتى ميدان عرابى، وسأجد بالتأكيد عبد الفتاح الجمل يخطف ساعة من عمله بجريدة المساء المجاورة للتابعى ،هو القصیر بشعره الاكثر ونظراته القلقة المتوبة، كما أنه صانع كوكبة من الكتاب، أو فلنقل هو الذى أعطى الفرصة لجبل كامل من كتاب المستينيات لل碧زوج والتحقى وستارك كل ذلك ورائى.

لقد انتهى كل شيء الآن وبدأ الحلم فى التحول إلى كابوس مقرف، كل شيءٍ، كنت أسيير فى اتجاه ميدان عرابى، غائب تقريباً عن الواقع، وبالبعق الذى فوق البنطolon بدأت تظهر فى الشمس، ولم تجف بعد، دمها المراقق فوق رجلٍ لم يجف بعد، كانتى دودة، كانتى إحدى شخصيات «كافكا». فكرت كثيراً من قبل، كيف استطاعت هذه البنت الصغيرة أن تتمكن منى إلى هذا الحد، هي الآن لم تعد بنتاً ولم تعد صغيرة، هي التي كتبت عنها فى قصصى السابقة، عن البنت الجميلة، وكانت فى الرابعة والعشرين تماماً، قالت لى ذات مرة : اسمع .. أمامى الآن خمس سنوات فقط ثم يبدأ الكبر يركبى ، ففهمت أنها تفكّر بلغة السوق ، كل واحد يدخل ومعه رئيسه ، الاعلانات المستمرة كذلك فى الراديو والتلفزيون ، وقد تمكنت من خلق

إنسان جديد قالت : لا أملك سوى جسدي .. أنا الآن صغيرة وجميلة وأمامي خمس سنوات فقط.. وكأى تاجر ناجح لابد أن تستثمر رأسمالى الخاص ، ملكيتك الخاصة .. كانت قد نامت مع أربع رجال كبار حتى الآن ، أربع محطات للوصول ، الوصول إلى ماذا ؟ كانت تعامل مع جسدها مثلما يتعامل التاجر مع دكانه ، ببساطته، عندما ألسها فى موضع ما من جسدها تصرخ على الفور : حاسب على البضاعة ، لأن جسدها بضاعة بالفعل ، كان ذلك منذ أربع سنوات مرت ، هي الآن ليست بنتاً وليست جميلة ، الآن وأنا قد انتهيت من ميدان عرابى متوجهها ناحية التابعى الدمياطى أراها على حقيقتها ، عيناها التى كتبت عنهم زمان ، هما عينان أسيويتان مسحوبتان بغير نظام ، وجهها منفر وفمها كبير غير مناسب مع الوجه الطويل الرفيع وكأنك تنظر إليها من زاوية منحرفة دائمًا ، هي الآن تكاد تكون دمية ، بل هي دمية بالفعل ، وتيقنت من أن الكاتب يصنع دائمًا من المرأة التى يحبها أسطورة ، بدون مبرر معقول ، هل نكتب دائمًا عن المرأة التى فى خيالنا ولا نرى المرأة الواقع دائمًا ، ولكن ما هو الواقع بالضبط ؟ هل هناك واقع فعلاً ؟ هذه السيولة المتدفعقة عبر الزمن مثل تيار ماء يجرف كل شئ فى طريقه ، ميدان التحرير ، الكعكعة الحجرية ، الكاتدرائية ، بيت عمتى ميمونة ، المتحف المصرى بيت بلاوكى ، النيل وشاهنده السمرى وكل هؤلاء البشر من حولى ، ميدان عرابى لم يعد هو ميدان عرابى ، معرض الهيئة العامة للكتاب فانحرف يمينا ، شبه راكض ، وطرف عيني فوق البقع الذى تلوث سروالى ، الاكشاك الكثيرة التى تكست فى شارع عرابى مثل بقع سلطانية ثم التابعى الدمياطى ، وللدخول ، لم يكن عبد الفتاح موجودا ، وكانت هناك رائحة نتنة تملأ المكان ، ثم أتذكر أنه قد مات منذ زمن وأن أهم كتاب مصر -هؤلاء الذين فتح لهم الباب - قد ذحفوا من القاهرة ومن قرى مصر البعيدة إلى دمياط كى يواروه الشرى ،أخذ معه واقعه ومات ، الواقع مرة أخرى ، هذه الذرات والأزواج المقتولة فى البرارى دون جدوى ، والحقيقة ، حيرتى أنا شخصيا وفرويد يؤكّد بأن الفن هو تصعيد للغريزة فابتعد عن جسدى قليلاً كى أتمكن من الكتابة وبين «داريل» كاهن الإسكندرية العجوز وهو يؤكّد على لسان بورسورادن : مارس .. مارس كثيراً كى تكتب كتابة جيدة .. وجيرتى أمامها فى قصر ثقافة الإسماعيلية الفخم مثل أوبرا ، كنت أراها للمرة الأولى ، قالت لي بأن

مجموععتك القصصية الجديدة مجموعة جريئة ورائعة فقلت لها جيد فلانجلس ونتفاهم، عندها فأجاتنى : أنا أحب الأماكن المغلقة ، وفي اليوم التالى كانت قد شقتى.

فلنؤجل الآن ما حدث فى اليوم الأول لرؤيته الأولى لها، وكذلك عندما ذهبت إلى شقته ، فهو قد قرر عدم الأكل عندما هاجمته من المطعم المفضل لديه أو الذى كان مفضلا- تلك الرائحة النتنة ، ومن حسن حظه أن المطعم الذى هبت منه تلك الرائحة النتنة كان قريبا من موقف «القللى» حيث الأتوبيس المكيف الذى كان يفضل أيضا ركوبه عن السيارات «البيجو» والذى سوف ينطلق بعد ربع ساعة إلى الإسماعيلية.

من حسن حظه أن الجو كان حارا جدا ، كانت الشمس تصب جام غضبها - مثلما يكتب الأقدمون - فوق البشر ، هذه الحرارة وذلك العرق بالرغم من القرف الذى كان يشعر به كانت لها ميزة كبرى، ربما لم يتتبه إليها، هذه الميزة هي أن الشمس قد تكنت أخيرا من امتصاص البقع التى كانت تلوث سرواله، سرواله الداخلى «الكلوت» وسرواله الخارجى «البنطلون».

الآن قد جف دمها تماما وكتنه وبمساعدة قوى الطبيعة قد تمكن من التخلص منها، انتزعها من داخله ببصقة واحدة ، كانت تلك البصقة لها فعل السحر، كانت أقوى من كل تلك الحيل التقليدية الفاشلة والتى دأب منذ ثلاث سنوات على اتخاذها كى ينساها.

هو الآن ، سوف يركب أتوبيس الإسماعيلية المكيف، وهو خال منها تماما ، خال وممتلىء بذاته ، سوف يركب الأتوبيس ولن يركبها مرة أخرى، عندما كانا يسيران في شارع سليمان باشا، ذات محاولة فاشلة في نسيانها ثنت ذراعها في نصف دائرة وأمسكت بذراعه ووقالت: اركب .. وبالرغم من معرفته بأنها تجيد تلك الإشارات الجنسية المبتذلة إلا أنها كانت تهمس باركب هذه المرة ليست كإشارة، وكان وجهها الدميم ملتصقاً بوجهه، أنفاسها وعرقها وجسدها الطويل المشوّق، الطويل البارد ، الطويل مثل نحلة ذكر لا تתרى ، كان هذا الجسد، ياللغرابه، يدعوه للركوب وهي تقول : اركب .. وسط زحام سليمان باشا، ساعة القيلولة، ساعة إحدى شخصيات «كافكا» وقد تمكن من الخروج منها، في نفس لحظة خروج القذفة ، هناك



فوق محطة الباص أول شارع الهرم فى فعل ورد فعل، هو الآن سوف يذهب إلى الإسماعيلية، إلى بيته، وهو متأكد تماماً بأن هذه هي المرة الأخيرة، لن يراها أو يحدثها مرة أخرى، أبداً، فهى لم توجد أصلاً ولن توجد.

٥

وهكذا .. لم نتمكن من كتابة شيء عن العضلة القابضة،أخذنا الحديث عن شاهنده السمرى وعن فتاة شارع الهرم، وكذلك الحديث عن الثقوب الثمانية فى جسد الأنثى، كنت أعتقد أنى أول من تنبه إلى هذه الثقوب لكنى قرأت أخيراً رواية للروائى التشيكى «ميلان كونديرا» ذكر فيها هذه الثقوب ثم عرفت فيما بعد بأن الكاتب الفرنسي الكبير «فرانسوا رابليه» هو أول من لفت الانتباه إليها منذ زمن قديم ولكن هل هناك علاقة بين كل ذلك وبين العضلة القابضة؟ ربما.. أقصد ربما نعم وربما لا..

# فرح بالموتى

صفاء عبد المنعم زايد

من أنتم؟

واحة كسلى أتمدد داخلها.

أتحرك ببطء العاشقين الجدد ، الذين لم يعلموا عن صبواتهم ، ولم يرفعوا راية الاعتراف ، ولم يخمن الأصدقاء بعد بأيهم ، وأين بدأت العلاقة . فقط كنا نلتقي الثانية ظهراً على مقهى البستان ، نطلب الشاي الساخن ، ونأكل السنديونيات من فلفلة.

كان فرحاً بخروجي من جعبة الأسر الطبقى والأنثوى . كان يغزونى بحنان وقوة مقاتل.

كنت أمد يدى كى يلتقطها ونحن نسير ليلاً من التحرير إلى الحسين ، ونجلس على مقهى السكرية .. هناك فى ركن قصى .. أمد ساقى المتعبدين ، ولا يلوح بالألم فقط أصمت ، وأتأمل وجهه المثالى الذى يشبه وجوه الفيوم ، وبسمته المتواضعة الطازجة التى تريح روحي المرهقة.

وحدثنى عن طفل صغير يهوى اللعب وحفظ القرآن ، وعن أب مات بسرعة متواضعة ،

وسرب الحمام الأبيض الذى كان يلازم النعش طوال الوقت.

حدثنى عن شارع أبو هريرة ، وأم المصريين وبيت متواضع يسكن فيه الأهل ،  
وأخت صغيرة جميلة تشبهه ولها اسمى .

حدثنى عن الفيوم والبركة والبيت المهجور .

حدثنى عن عصفور صغير وقف على شباك حجرته وأنقذه من الموت فى ٨٧.  
وهكذا كنا نسرق اللحظات وتغيب عن الوعى ، عن الآخرين ، عن الحريرات المهدمة  
فى العشق .

عن العيون التى تتلخص ، والأسن التى تجيد نسج الحكايات والغزوات  
والصبوات ، ونشر الهزائم بقناع ودود ، وأمام دخان السجائر وشرب الشاي .

كانت لنا هزائنا ، أحباؤنا ، أعيننا التى ترى وتكشف الحب . فى مقهى فينكس  
أعلننا الحب وتواضعنا .

كنا أول اثنين نبيع بحرية أن هناك آخر يسكن داخل كل متن وابد من البحث عنه .  
الآخر الشبيه .

الآخر المعلق داخل كل متن .

وأن العلاقات لاتتشابه .

شرائط ماجدة الرومي أول أسطورة للحب .

أول الفاتحين

أول العاشقين يهفو للقاء حبيبه .

وضم يدها الصغيرة بين يديه الرقيقين وغنى :

عصافور عبيط أنا .. غاوى بهجة وغنا

ح انزل هنا .. وانشالله يهبرنى فخ .

سينما كريم قريبة من المساء .

نسير عبر الشوارع نغنى ، نرقص ، نتحايل على الجنيهات القليلة التى معنا ،  
نسرق الوقت ، والحب ، وريحة الأصدقاء ويقوم يسرى حسان المجد الجديد ببعض  
الجنيهات على عزم الشلة على فول وطعمية من آخر ساعة .

ونسير عبر شارع عماد الدين ، نقضم الضحكات ونتقاسم اللقة ، ونجري مهرولين

، صالحين :

ما أحل الحياة .. ولو في أواخرها  
ما أحل الحياة .. ولو فتافيت

ونذهب من عmad الدين إلى طلعت حرب ، نجلس على البستان الطيب ، الذي يحينا  
ويفتح لنا ذراعيه ويهمش عم أحمد في وجوهنا المرهقة ، ببسملة ودودة طيبة:  
- أيوا يابهوات.

- شاي كشري ، وسكر بره ياراجل يا أمير.  
ونجلس.

بتواضع الألفة ، ولمة الصحبة .  
نحكى ، ونضحك ، ونقرأ ، ونسمع ، ونتبادل النكات.

شحاته العريان  
مجدى السعيد  
أسامة شهاب  
مسعود شومان  
حسن رياض

محمد الحسيني  
مجدى الجابرى  
ابراهيم داود

وتتسع الدائرة ، تتسع ، تتسع ..  
ويأتي آخرون.

كان العسل يذوب في هذه البقعة ويأتي  
أحمد اسماعيل  
وأحمد الديب

وتكثر النكات ، وتعلو الضحكات ، ويتوارد الأصدقاء ، وتفتح القلوب على سعتها ،  
وتعلو الضحكة تعلو .. تعلو ،

ويسمعنا أحمد خلف  
الكعكة الحجرية

ويغنى أحمد الديب. أغنيات لفؤاد حداد.  
ونجري وراء الندوات العامرة ، الظاهرة،  
ندوة الفجر.  
نادي القصة .  
ندوة المساء.  
الغوري.

كانا تخرج لاهثين من المساء إلى الغوري ، وأجرى خلفهم بأقدامى المتعبة بين طاهر البرتبالي وناجي شعيب ويسحakan لأننى نطيت من الأتوبيس وهو يجرى. فيجرى ورائي ويلحقنى ياسر الزيارات وصلاح عيسى.  
أما الصديق الجميل صاحب البسمة الودود الذى كان يبسمها بخجل المتورط فى المعرفة محمود الحلوانى.

الحلو كما يحلو لنا أن نناديه.  
أعطانا قلبه ووقته ، وسرقنا الأحلام سوياً.  
وغنينا أغانى الشيخ إمام ومرسال خليفه وفيروز.

ياسكندرية بحرك عجائب

ياريت يكون لي فى الحب نايب  
تاخذنى موجه

وتجبني موجه

وأجرى خلفه وأضحك : طب استنى ياطويل  
بكره نشوفك لما تحب هتعمل إيه !

بيتسن

ونبتسن

ونجري

نجرى

نجرى

أول العلاقة.

أول الحنين

بحتو أب وروح صديق ، ابتسם محمد جبريل في ندوة المساء وأعلن خطبتنا.  
وفرحنا  
فرحنا.

كأننا كنا على موعد مع السعادة ، مع الأصدقاء الطيبين وقلوبهم المرحة التي  
كانت تسعنا فنجري ونمرح داخلها. وأرسل في طلب صندوق حاجة ساقعة.  
وزعجه على الندوة احتفاء بأجمل شخصين وأعز اثنين.  
وتقبسم بسمة أب لن أناسها وقال: أنا فرحان قوى ياولاد.  
فرحة عمت الجميع ، ملأت شارع الجمهورية ، وشارع عماد الدين ، وطلعت حرب  
، وزهرة البستان.

سارت معنا من التحرير إلى الحسين نغنى:

أنا أحب أقول الشعر في الحلوين.

والحلو أقوله ياحلو في عيونه.

وأغلق صلاح عنانى ندوة الغوري.

وكما تندر يسرى حسان بفكاهة ابن البلد الجدع قال:

صلاح عنانى دبر مذبحة القلعة للشعراء والزجالين.

وضحكنا

ضحكنا

حتى الفجر ..

ضحكنا حتى..

انفجرت قلوبنا على أول صدمة ، عرفنا بعدها طريقاً آخر  
وباباً فتح على مصراعيه .

وأخذ مثنا أول ماخذ خالد عبد المنعم.  
أراه الآن أمامي واقفاً يبتسم .. ويرفع هاميس بين ذراعيه ويقبلها.  
- ربنا يخليها لك يامجدى  
ورحل من نفس الباب ، نفس المدخل ، نفس الهواء الثقيل ، والريح العاتية  
حملت إبراهيم فهمى . ترك وراءه بحر النيل.  
والليلة ياسمرا  
وكنا نغنى مع محمد منير .  
بحزن التوبة ، بأيام بدأت تتسرّب وتبعدنا ..  
وأخذ يبتعد .. يبتعد .  
الليلة ياسمرا .. يبتعد .  
الليلة ياسمرا .. يبتعد .  
آه يا صديق لم أعرفه ، ولم أقترب منه أكثر من بسمة ودود .  
- إزيك يا عامر وازى مايسة .  
آه يا صديق عرفته عبر وجهه الأسمر وبسمته الصافية .  
ويرحل عمر نجم .  
ويأخذ معه بهجة طعمها عسلى مثل بشرته .  
طعمها طازج مثل قلبه .  
ويتبعه عبد الدايم الشاذلى .  
قابلنا فى شارع القصر العينى ، وضحكنا ، قال مودعاً  
- أنا محجوز فى المستشفى  
هاعمل عملية بكرة فى عينى .  
ابقو تعالوا ..  
سلام يامجدى ..  
سلام ياشاذلى .  
وكان سلاماً

وكان حلماً.

وكان قلباً

نقاء فيضحك

ويجلس معنا للحظات

ويقوم واقفاً

سلام.

وتتوالٌ الهزائم ، وكبرت هاميس ، وأنت مي ، وفي يوم على غير عادته دخل مجدى من الباب صامتاً.

جلس صامتاً.

أخذ ينقر بأطراف أصابعه على المكتب كأنه يبحث عن شيء ، أو يفكر في شيء.

سألته : مالك يامجدى ..

- خبر وحش ، مش عارف أوصله إزاي

أروى انتحرت

جلسنا ننظر إلى الكتب والمكتب والطفلتين : صامتين :

لم أبك ، لم أغلق ، لم أحرك ساكناً ، فقط . صمت.

وبت ليلتي أفكـر.

ما هو الموت ؟

لماذا يأتي بكل هذه الخفة ؟

لماذا يذهب المقربون ويتركون حزناً لا ينتهي .

وسعل مجدى الجابرى سعالاً متواصلاً.

ودخن بشراهة لم أعهدـها.

ووقف ليلة كاملة فى البلكونة يدخن .. يدخن .. فى برد الشتاء.

ومرت الأيام سحابة قائمة.

طويلة .. باهـة

فقدنا توازنـنا.

فقدنا رغبتنا فى الظهور .  
أصبخنا كائنات بيتها .

ظللت أحلم بوجه أروى طوال الليالي ، والقلادة الفضية فى يدها .. وأننا أعطياها  
كتابي الثالث (أشياء صغيرة وأليفة)  
وأضحك معها .

وتطلب لى شيئاً .

ونضحك

. نضحك .

نضحك إلى أن دخل مجدى الجابرى معهد الأورام  
فضحك إلى أن خطف مجدى الجابرى من معهد الأورام  
ورأيت الأصدقاء ثانية .

جميعهم .

لأول مرة بعد غياب ندوة المساء وهدم ندوة الغوري .  
أراهم هكذا دفعة واحدة .  
إنهم كثـر .

ربينا بداخلنا أصدقاء كثـيرين .

وصنعتنا حمية وطيبة .

ولم نقـ أنفسنا من الموت .

الموت يتـخطـف الأحباء واحداً تلو الآخر .  
وعيون .

عيون .

موت .

ومرت الأيام ، وحمل القدر فى جعبته الحبيب ، ورحل .  
وظللت أنتظر .  
أنتظر



وعلى غير عادة رأيتها سناء المصري بوجهها الشاحب، وشعرها القصير، وبسمة  
 مناضلة أحببت نضالها، وأغلقت عليه صدرها الرقيق، المريض، الطيب.  
 تدخل بطيبة وفرحة كأنها رأت كنزاً أو حبيباً غائباً.  
 وفتحت ذراعيها، وضممتني بينهما.  
 - أزيك ياصافي  
 وحشاني.  
 وإزاي البنات.  
 وجلسنا نحكى عن الأيام.  
 نحكى عن الأصدقاء  
 نحكى عن الوحدة  
 نحكى عن الحبيب العاري  
 نحكى ونحكى ونحكى.  
 وتركتنى وحيدة أجلس على منضدة صغيرة، وكرسى من القش فى مدخل الأتيليه.

شعر

# عصفور

خالد حريب

طار الكلام زى عصفور بتهدده طلقه  
مبخافش م الموت .. لكن بحب الحياة  
مرجি�حة من قبل العذاب دايشه البدن والروح  
شديت فرامل وقفت اللعبه  
دوخه وحيره وأسئلة  
ماشى على دماغك  
ولا على كعبك؟  
ولا الطريق نازل وانت بتدرج؟  
شايل جحيم الزحام .. يتعاند المطروح  
يجمع عليك العذاب الضرب  
مش فزلكة لو قلت .. القسمة مش عادله  
حزمة أمل من بين ضلوع الصدر  
كما الحدوه فاصله  
مرجি�حة مع مفترق مع شك فى الموضوع

انت مصدق مين ؟  
حسك وزمن البكاره  
مع انفلات الضوء  
ولاسلام عمرنا الدايب  
جته متقطعة على كل ناصيه كلام  
أحزان بتتسخن في الوريد  
الدم وى الأسئله بينما  
لاتنين حبایب في زمان خايب  
وانت في المرجيحه متعلق من رموش عينك  
مخلوطه ليه الصور ؟  
قال يعني مش عارف  
حلفت بالله العظيم  
أنا من زمان شايف  
ومسكت حبل المقاوه  
خدعني بدن معتل  
الروح بتتسرب من بين شقوق جلدك  
ماقصدش اكتب قوافي  
لو قلت الميزان اختل  
راكع أمام جبروت من دهب قشره  
ماكنستش السيده  
ولاقلت تعويذه  
الصبر مش ميزه  
والانتحار أهطل



مبخافش م الموت لكن بحب الحياة  
عصفوري بيحلم وحلمه سكته ونجاه  
مرجি�حة من غير فرامل  
دوامه من غير قتيل  
مزيكه من غير آلات  
من حزن ع الجنبيين بنطلع  
مشتاقين للحزن.

## نافذة المبدعين

هنا غيض من فيض تواصل مجلتنا مع الكتاب والأدباء عبر «نافذة المبدعين». تلك النافذة التي سنحرص على أن تظل ثابتة مفتوحة بيننا وبين الأدباء في كل رقعة مصرية وعربية. وسوف يلحظ القارئ أن الغالب الأعم على هذه النصوص هو الوجع المحرق تجاه القضية الفلسطينية والانتفاضة الباسلة والقدس. وهو الوجع الذي يؤكد أن شعبنا المصري والعربي (وطلاقته المبدعة) سيظل متفاعلاً مع القضية الفلسطينية مضاداً لإسرائيل والصهيونية، حتى يحل العدل ويعود الحق لأصحاب الحق، وأن محاولات المعاهدات الرسمية مع إسرائيل ومحاولات السلطات العربية «غسل الدماغ» العربي من الانتماء إلى فلسطين والعداء لإسرائيل هي محاولات فاشلة لم تفلح في جعل العدو صديقاً ولا في جعل السفاح إنساناً.

«أدب ونقد»

## قصة

### مساواة أم مواساة

\* هي شاردة تفكير بهدوء وتركيز عميق تستدعي المنطق وتستضيف الحكمة لتشاورهما في أمور عديدة اختلطت عليها كثيراً بلا تفسير، يرشدتها للتعقل واسترجاع الذاكرة وترتيب الأحداث لتبدأ معه الحوار.

- أليس الأجر لكتلتنا أن نعترف بواقع ارتباطنا وحقيقة انتماجنا وحتمية مصيرنا الواحد منذ الخلق إلى الآن حينما نسترجع تاريخ إغواننا معاً وقصة الطرد والهبوط المخزية تتبعها رحلة العنااء والكبد لكتلتنا، بتذكر معًا عهود استباحثتنا وأهوالنا داخل أذمنة الرق والعبودية (عبدا كنت فإذا بي جارية) تتلقفنا عصور الظلام فيتساقط كل منا فريسة لبراثن الجهل وقهراً الاحتلال وما انهال فوق رؤوسنا من حروب مضنية.. يتسابق بعدها كل منا ويلهث تسبقه الآنا والترجسية طمعاً في الانطلاق قبيل الآخر في دوامة لا تنتهي.

- لذا أن الآوان أن نحطم أحواق الخوف والعداء الموروثة بيننا.. نتحاشى صدام الندية وببلة التطلع لمساواة هشة تسير الشقاوة والفرقة وتدعوا للدهشة والشفقة.. ندير أسلحتنا كل عن صدر الآخر ونرشقها بعيداً في وجه القهـر.. في عين الظلم.. في قلب الخوف.. في رأس الفقر.. في آذن الكذب.. في أطراف الجهل المترامية.. في أنف الضغوط.. في كبد الكبت.. في ظهر اليأس.. في ذيل الاستسلام.. في فخذ الجمود.. في قم الصمت.. لتنفرغ لإعادة اكتشافنا.. عن أفقنا المطوى في ظلمات التشـتـتـ الحالـيـ.

- حقاً نعلو فوق المساواة بمفهومها

\* هو أيضاً منغمس في صمته وميزان العدل أمامه يحركه بأسابيعه يتذبذب، يعلو ويهبط بلا اتزان، يبحث عن الخلل ويقتـشـ عن التوازن يستعد لا مفر لبدء المواجهة بينهما لأول مرة وتبـدوـ أنها مواجهة حاسمة.

- أيها العصرى المفتتح.. أما زلت تحلم بحلمي؟ أمساكـ يراودكـ أملـ؟ ألا زلت تسبـعـ بأعماـقـكـ وتـغـوصـ بـداخـلـكـ تـختـطـ قـشـورـناـ وـتـعـدـىـ ضـعـفـنـاـ .. فـتـهـمـشـ أـنـوـثـيـ وـتـضـعـ رـجـولـتـكـ جـانـبـاـ وـتـعـطـيـ الأولـويةـ فقطـ لـتضـعـ الفـكـرـ وـرـجـاجـةـ العـقـلـ ليـكـونـاـ المـقـيـاسـ الحـقـيقـيـ لـتـقـيـيـمـنـاـ مـعـاـ بـمـوـضـعـيـةـ وـحـيـادـيـةـ لـنـسـلـطـ الضـوءـ وـبـكـلـ جـرـأـةـ عـلـىـ أـبـعادـنـاـ المـجهـولةـ جـهـلاـ وـأـفـكارـنـاـ المـبـتـورةـ غـمـداـ.

- نـعـمـ وـماـ زـالـ حـلـمـيـ مـلـحاـ أـنـ نـتـحرـرـ سـوـياـ مـنـ سـجـنـنـاـ المـفـتوـحـ وـنـسـعـيـ لـلـانـفـلـاتـ مـنـ زـبـنـاتـ الـخـوـفـ وـالـأـحـلـامـ الـمـهـلـهـلةـ وـالـعـوـاـطـفـ الـقـلـقـةـ وـالـعـيـونـ الزـائـفـةـ إـلـىـ لاـ

الافتuel لنبحث بجدية عن كيونتنا معاً من تقطيعي لأجزائك.

- لا تنسي بعقيدتي أنا أيضاً نجحت في استئناسك بدلاً من قهرك ووازرك لنتفق على حتمية الهدنة بيننا.

- هدنة شرطها المودة والرحمة للاحتفاظ بقرة عيني لي وللك .. قرة عين تتشبث بالحياة مرفوعة الهامة .. ثابتة العقيدة .. تتبعى العراقيل وتتخطى الصعوبات.

- تستكمel خطانا حافظة لبنيود العقد بعيداً عن الزيف والشعارات ورشق الاتهامات وادعاء كل للآخر أنه أذكى الأغبياء .. بعيداً عن سياسة التفخ بالهوا وفى الهوا .. نفخ الأبدان ونفخ العقول.

- ولكنني أتساءل كم منا يحلم مثلى ومثلك وييسرى لتحقيق الحلم.

**عزبة حسين**

بعيداً عن أي نظرة قاصرة ويدانا نظيفتان لا تسعيان للتلامس والإيحاءات الرخيصة .. بل متحفزة لإصدار إشارات بده جادة لانطلاقنا معاً والتصفيق بشدة لكلينا .. تشيد بفكر عصرى متزن يسعى للرقى والارتقاء لمستحق الحياة والمساواة مع بقية العقول الأخرى علماً وعملاً .. قوة وتماسكاً تنافساً وتواجداً.

- أصبت تلك هي القضية العادلة والمطالبة المشروعة بالمساواة الحقيقية لى وللك .. أن نتساوى معاً بنسبقونا وما حصلوا عليه وفازوا به من حرية استحقوقها وديمقراطية احترمواها وعلم قدسواه وتقدم مذهل فجروه بعقولهم داخل أوطنهم لينجزوا به مالم يحققه نفط أو مال أو أجساد بشر.

- نعم تلك هي المساواة المثمرة لى وللك والتي تحتاج لاتحادنا معاً لا لفصلي وفصلك وعزلى وحجبك بعيداً عن التحرير والتجريم .. ما دمت يا حفيد موسى أمشى على استحياء وأنا أسعى لإثبات ذاتي .. وما دمت بابن يوسف ستعصموك عقيدتك وتتفرغ لقضيتك ستُفند مكرى وتبطل كيدي .. ستغضن البصر عنِّي فأنسعني لأدوار تفوق مراودتك وتتبعدى مراوغتك .. ولا تنسى يا فرعون كنت بالأمس زوجتك وتعلمت بدبليوماسيتى طرق ترويضك بدلاً

## القدس الباكى

يا دولة الظلم نهايتك قربت  
وسمستنا شرقت وشمسك غربت  
القدس راح يرجع ولو طال الزمن  
وهاتطرح الأرض اللي بالدم البرئ  
اتشربـت  
لو مـنا مـات مـليـون شـهـيد  
راح يـكـبر الطـفـل الـولـيد  
يـشـتد عـودـه ويـنـفـضـ

غار ببلل الصباح المفرد  
 من حنان صوتك أنقى نداء  
  
 كيف تسأل عن حياتي بعدكم  
 هل ي sisir الجسد دون دماء  
 يا رفيق القلب في حزن وفي  
 بسمة عن فرجه وفي نداء  
 إن عن اللقاء بيننا ففى  
 جنة الخلد مكان للقاء  
 ملك أمرك الحياة الفالية  
 ليس عندي أعظم من ذا عطاء  
**وائل صلاح إسماعيل**  
**طالب بجامعة**  
**الأزهر كلية**  
**اللغة العربية**

بآيديه يحارب من جديد  
 الليل قصیر مهما طال  
 والفجر جای ما فيش محال  
 يا قدسنا الباكى الحزين  
 دمعك هايتشف مهما سال  
 يا شمس بالنور قربى  
 النصر غايتها ومطلبي  
 بحجارتي هاتكون ثورتى  
 وبروحى أجود لو تطلبى  
 الدم يرخص للوطن  
 يا يكون لي يوم بيست أو كفن  
 وإن مت فى كفاوى الجيد  
 راح أموت عشان يحيا الوطن

### نشأت عادل مصطفى

#### أخى الفلسطينى

يا خوياف فلسطين  
 يا خوياف شايفك فى سجنك  
 واثنت جوه سجين  
 يا خوياف سامع صراخلك  
 والشعوب ساميون  
 يا خوياف شايف دمائك  
 والشعوب شايفين  
 يا خوياف عايز أروحلك  
 بس أمشي منين  
 يا خوياف يابن العرب  
 فيه سور

#### نداء قلب

يا معد البدر بالنور والضياء  
 وجهك صبح أزال الظلماء  
 دارت النجوم يقتبسن من  
 ضيّك الغافى مصابيح السماء  
 سرت على الرمل أخفى نفمة  
 وغارت منك ظبية المصراء  
 وسرت على شاطئ زاينته  
 واختفى فيروزه خلف الغطاء  
 بنت فى ليل خسف بدره  
 أصبح الليل نهار منك سواء

بعد أن ظل سنوات سبعاً، قابعاً في  
ادراجها (!!).

كسور برلين  
ياللى شكيت للأمم  
قصدك بتشكم ، لين؟

.. وهذا ، ولقد تزامن معه إجرائى لعملية «إزالـة المـياه البـيـضـاء» الكـتـارـاكـتا .. بـواسـطـة الـمـوجـات فـوق الصـوتـيـة .. وجـهاـز الفـاكـو.. من عـيـنـى ، ولـلهـالـمـدـ والـشـكـرـ .. وـذـلـكـ ، بـعـد إـجـرـائـى عـمـلـيـة اـنـفـصـالـ شـبـكـىـ فىـ عـيـنـىـ ، مـنـذـ ٢٠ـ عـامـاـ .. وـذـلـكـ مـنـ جـرـاءـ انـكـابـىـ عـلـىـ القرـاءـةـ ، ثـمـ الكـتـابـةـ .. مـنـذـ صـبـاـيـ المـبـكـرـ .. وـحتـىـ الانـ ، بـرـغـمـ بـلـوـغـىـ الرـابـعـةـ وـالـسـبـعينـ .. مـنـ العـمـرـ الانـ .. إـيـصـابـتـىـ بـالـحـسـاسـيـةـ ، الرـبـوبـيـةـ وـالـمـصـدـرـيـةـ ، التـىـ تـمـعـنـىـ مـنـ مـفـادـرـةـ الفـراـشـ .

شاييفين ومش سائلين  
لو شعبينا شعب واحد  
أمريكا تسمع كلمتى  
إنجلترا تعمل حسابها  
لغضبى  
كل الدول تسمع صراخنا  
من هنا  
فوق أرضنا

..وبرجاء قبول بالغ أسفى ، ، نيابة عن مديرية الثقافة (!!)) ..للاخطاء المطبعية ، والتدخل فى بعض القصص ، التى تضمنها ..وفى انتظار التفضل بعرضها ونقدتها ، وتقديمها بأدب ونقد » الغراء .. والرد .. وتفضللى سيداتك بقبول فائق الشكر ..، والتقدير .. والاحترام ،

بتشكى لمين  
أمين الديب  
إمبابة

رسالة

السيدة الأستاذة فريدة النقاش

مراد صبحي متى  
من كتاب الأقاليم، المظاليم»  
.. ومن رجال التعليم «بالمعاش  
و(عضو اتحاد الكتاب).

..فأشرف بإرسال كتابي الثاني (رحلة الأيام).. الصادر عن مديرية الثقافة بالبحرين، سلسلة الـ ١٢ لسنة ٢٠٠٠.

## محمد الدرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته  
أود أن أشارك مجلتكم الرائعة بهذه  
القصيدة عن الطفل محمد الدرة أنا أسمى  
مثنى عبد الرحمن أحمد ولكن المجالات التي  
تنشر لي تكتب اسم الشهرة وهو مثنى  
حامد.

ولأنها المرة الأولى التي أشارك المجلة بها  
أخبركم بأنني بدون مؤهل علمي وأعمل  
عاصماً «بمطعم ولی دیوان تحت الطبع  
بعنوان «الحب والجنون» ولكنني توقفت عن  
طبعه بعد انتفاضة الأقصى:

لم أمت بعد  
قيل شبه للضاربين بأنني قتلت  
ولكنني كنت أمسك ثوب أبي  
بانتظار المدد

احمني يا أبي  
ضموني يا أبي  
سوف يأتي المدد سوف يأتي المدد  
سوف تأتي جيوش  
بدون عدد

ستخبر عنى الرياح  
وتسكن روحى بكل بلد  
أبي احمنى  
لم تحن بعد لحظة موتي  
لم استرح من عناء الطريق  
ولا زلت في لغة الجاهلين ولد.  
أبي عندما ضمت الريح وجهى

## تذكرة أمري

وإني خرجت ولم أرها  
لم أقبل يديها  
أبى ضمئنى، سوف يأتي المدد  
سوف تأتى الجيوش بدون عدد  
سوف يأتي المدد  
ولكن قلبي توقف فى لحظة  
وأجاب الصدى  
لا أحد.. لا أحد

مثنى حامد

## احذرى شعوب العرب

شهدت الساحة السودانية ومنذ مجىء  
نظام الجبهة الإسلامية والاسلام برىء،  
وإضافته لاسمها زوراً وبهتانا -شهدت  
الكوارث.  
وأوضح بالدليل العملى والواقعى أن  
هؤلاء لا يهمهم أمر الدين بل يستغلونه  
للوصول إلى السلطة وكراسى الحكم ومن ثم  
يتم السلب والنهب لمقدرات البلاد.

جرت أحداث غريبة لا يعرفهما  
السودانيون وهى نتيجة لثقافة التعصب  
التي أبتكرها وصنعتها الترابى وأعوانه.  
وقد أحدثت سياسات هذا النظام شروحاً  
اجتماعية عميقه ومن الصعب لمن يأتي  
بعدهم أن يخدمها.  
وهذه نصيحة للشعوب العربية أن تعى  
درس السودان وتجربة هؤلاء المرتدين

الفأس والمصباح  
مشهد للجريمة.. آخر للعقاب  
تعزف الأوركسترا بشكل أسطوري  
ـ جنوبي .. وحشى  
ـ إنه الجحيم..  
الدائرة التي لم يعلنها دانتى

عماد صيام  
الاسماعيلية

لثياب الدين والمتسترین خلفه، يستغلون  
عواطف الناس الدينية ويخدعونهم خدمة  
لمازريهم، ومشروعهم للوصول للسلطة  
ويعتمدون على تشويه التيارات الوطنية  
ومحاربتها بالدين والباس الحق ثوب  
الباطل.

عبد الحميد مصطفى  
سودانى

## خطيئة الملاعقة

هنا يرقد أنا

صلى وسلمى  
التحيات للتحيات  
الطائر للسماء  
ويفتح الستار عن الأنامل الخشبية  
والجماج المعلقة  
تحكى عن تاريخها الوردى ، فى ماراثون  
العدو التنازلى  
روايتها لا يمكن أن تخلق مسرحا  
عقبريا ،  
يمكنها أن تخلف من ورائها إلاها  
هامتواضعا  
الفصل الأول : أول اتنازل البشر عن  
ساحات الملاعقة  
خطيئة أول ملعقة فى طبق الاتهام  
ماذا أعدتنا لتناول الغذاء .  
إنها القصة الأولى لرجل أتهم بالعراة  
فاز أرى أيتها الأحجار قبل أن يصدق



## التغيير من أجل التجديد

«المصرى فى كل أطوار حياته عبد العادات» تلك هى العبارة التى استوقفتني وأنا أقرأ الجزء الأول من موسوعة «مصر القديمة» لسليم حسن، وتأملت طويلاً فى هذه الكلمات وقارنتها بواقعنا الذى نعيشه ووجدت أنها صحيحة تماماً. وتساءلت لماذا نظل عبيداً لعاداتنا وتقاليدنا؟ أين التغيير الذى يجعلنا نشعر بديناميكية الحياة وتتفاعلنا معها؟ أين التغيير الذى يشعرنا أننا كبشر متميزين عن باقى المخلوقات؟ أين التغيير من تلك العادات والتقاليد التى أصبحت وكأنها جزء من تراثنا لا نرغب فى العبث به أو أن نحيد عن ذاك الطريق الذى رسمناه لأنفسنا. وكان (الخ) نحن نمتلك عقولاً يجب أن تفكّر لا أن تقلي وتبعد لا أن تنتظر أحداً يملأ علينا ماذا تفعل، وأختتم كلماتي المتواضعة بكلمات الدكتور مصطفى محمود الذى يقول: «إن العرف والتقاليد والافكار الجاهزة تطمس الأشياء المبتكرة فيينا، وتطمس الذات العميقه التي تحتوى على سرنا وحقيقةتنا، وننسى في زحام الناس وقد لبسنا لهم نفساً مستعاراً من التقاليد والعادات حتى نتعجبهم.

وهبة يوسف وهبة  
بنى عبيد - المنيا

أنه أصبح من الحتم علينا أن نتغير وننطلق نحو مجالات وأفكار وإبداع آخر غير ذاك الذى اعتدناه طوال حياتنا.. فالإنسان بطبيعته ابتكارى ومبدع يحب التجديد ويرغب فى أن يرى الدنيا من حوله بشكل جميل مختلف متميز بما اعتاده بالأمس. ولكن يظل «الإنسان المصرى عبد العادات» كما يقول سليم حسن في عالم لا يتغير كل سنة أو كل لحظة بل كا ثانية أو كل فمتوثانية حسب ما اكتشف العبرى الفرعونى المصرى «أحمد زويل».

من حقنا  
سامح هریدی  
عضو جمعیة المواهب الشابة

اعتقادی ان ام شارون نادمه  
علی ولادته

اتخضت امه  
اتخضت امه و قالت آه  
یوم ما تولد شارونها ده  
لطمت خودها شقت هدوها  
قالت يا ریتنی ما چبت ده  
صرخت قالت يالهوتی شارون ده هو  
کارتی

غشمه جاموسی خدوا فلوسی  
خدوا فلوسی  
وخلصونی م البغل ده  
كلمة شارون قلتها وندمت بعد ما قلتها  
سفاح ودموى وده سر همى  
وكل ذنبي هو ده  
الواود ده اسمه شارون  
سفاح حقیر مجنون  
عاشق للنار  
فكرة دمار  
زعيم اشرار البغل ده  
ده بغل ولا كلب ده  
شارون بوز الإخلاص ده  
لو كان ده فار  
أو كان حمار

## قومی یا قدس

قومی یا قدس إتكلمی وإحكی حکایة  
کل دار  
 القومی وولادک علمی میهمهمش رصاص  
ونار

ما احنا العرب

کل العرب من حقنا

إنك تعودى لحضننا إنك تكونى فعمرنا  
شمس النهار  
قومی یا قدس نقول لهم الأرض دی مش  
أرضهم

الارض دی شربت عرق

شربت حنین

شربت دماء من دمنا

الأرض دی من صغرها

عايشين جدونا فحضرناها

بعملو صوتي هقول لها

إحنا الولاد وانتي أمنا

ما احنا كل العرب

من حقنا

النيل بيصرخ من هنا بيقول سيبوها

دی بنتنا

وأحلف وتحلف لهرمات

على إنها من أصلنا

القومي ياقدس ومتخافيش

لا ولا متسلميش

وكل عربي إزاي يعيش وانتي بعيد عننا

وإحنا العرب كل العرب

كان يبقى أفيض من اسمه ده  
سفاح خطير الكلب ده  
شارون إبن المجرم ده  
دب رب رجال  
يتم عيال  
من يوم شبابه البغل ده

**حمادة محمد عفيفي  
باحث هيئة قضايا  
الدولة- كفر منا وهله  
-الباجور منوفية**

تسقى بخالص شجوها ميدانا  
ذبحوا على اعتابها الطفل البرئ  
وعلموا بربوعنا العدوانا  
قد قدموا قربانهم بدمائنا  
ملأوا الكثوس وأهدروا الإنسان  
لا عهد ، لا أخلاق في إجرامهم  
أناتنا تزهو لهم أحانا  
من كل جنس اجمعوا أن يفكوا  
بالمسلمين ويهدموا بنيانا  
الخصم قاخص والدروب تشعبت  
والحكم يمضي فوقنا طغيانا  
من أي دين تستقي أفعالهم  
وبائي شرع عاملوا الجيران؟  
أين الأمان ؟ هل السلام حقيقة ؟  
أم ما تراءى للدني ما كان  
رباه إنما قد حرمنا حقنا  
والمسجد الأقصى جريحا عاشى  
مسرى النبي محمد مراجعه  
مهد المسيح فهل يظل مهانا ؟

**شريف حسين محمد  
أشمون منوفية**

**صرحة شهيد**  
اصمدى يا احجار  
اصرخوا يا أطفال  
دمى هينزف  
وهيغلى برkan نار  
أنا مت يا أبويها

كل الخطوب تفجرت وتمزقت  
بين الورى شهداؤنا إعلانا  
وحبببتي ترنو بعين ملؤها  
كل اللطى تروى لنا أشجاننا  
القدس ثكلى تبكى والمداين كلها  
تبكى لها من أجلها تحانى  
وكانهم بماتم برثينها  
أنواره انطفئت وما تتوانى  
القدس والدموع غزيرة

من أنتي وجذتك ونفسي ملتقيين في  
أدونيس والأدونيسية (قرأت مقالتك في  
الحياة) كما أقول أجمل ما قرأت لك في  
أخبار الأدب التي تأتي فيها على ذكر أم  
فاطمة قدديل ولذلك قررت أن أبعث لك  
شخصياً ثلاثة قصائد  
عمودي حر عامي  
أمل أن نلتقي في سوريا أو في مصر  
وتقبل احترامي واسلم معافي وكل عام  
وأنتم بخير

### **أحوكم شاهر خضراء**

سوريا - دمشق

#### **تعليق**

العزيز الشاعر: شاهر خضراء

تحية لك ولرسالتك البسيطة  
نحن لا نختار النصوص بناء على المزاج  
الشعري ولا بناء على العلاقات الشخصية  
فميما زاننا الوحيد هو جودة النص، أما عن  
السهو أو النسيان أو التقصير من جهتنا  
فجلّ من لا يسهو ولا يخطئ.  
وها نحن ننشر قصيتك «العنودية»  
رغم اختلاف الذوق، تحية لك وتقديرنا  
لما زانكم في انتقاء ونشر القصائد.

ج. س

### **سورة الأرض**

بسم الذي نفح النسوغ برحمة  
دائماً لتجمل للشموس جنينا

بس بلادي لا  
ولومات أخوها  
أصرخ وقول لا  
فداكى يا قدس يا أمري  
يا أمري ووطني وعرضى  
سبرى طال جرحى نار  
عمرى فداكى يا أرض الأبطال  
من يوم ما بنوكمي أجدادى  
وجه عليكى الاعدادى  
أنا باصرخ فى كل وادى  
دى بلادى .. بلادى وفداها أو لادى

**مجدى أسخرون رفنس**  
**المحامى/سوهاج**

الشاعر الأستاذ/ حلمى سالم  
تحية سوريا  
أحببتك شاعراً وتابعت منذ عرفتك  
شعرك وكتاباتك إلا أنه قيل لي في مصر  
أنك المحظوظ بنشر الشعر في المجلة (أدب  
ونقد) إما بمزاجيتك الشعرية وإما بعلاقتك  
الشخصية قالوا لي هذا بعدما تساءلت عن  
ميزانتكم في انتقاء ونشر القصائد.  
الهذا أهملت قصائدي التي أرسلتها  
لوجودتها الفنية . وإلى لقاء .  
لجلتكم التي أحب خطها؟.

أتمنى أن تكون أهملتها للسبب الثاني  
لأن هذا مقدور عليه فقد حكت لي شاعرة  
تحبك أنك إنسان عالي الإنسانية.  
أما السبب الأول فهو صعب جداً بالرغم

عذراء كاعب كل صبح تستوى  
 مجدًا على عرش التراب وزينا  
 حملت بصائرنا وصارت ثيابا  
 وتعود بكرًا كلما .. سلبونا  
 لا أديرت سبلًا ولا انتبذت بنا  
 أبد الصراع ولم تخر جبينا  
 عنقاء في سم الرماد خيوطها  
 نسبت على نفس الموات قروننا  
 فينيق أحياناً يزجج بعثة  
 ويطير من كنعان بعلا حيتنا  
 أدونيس تعطى للتراب دماءه  
 عطا الغزال إذا أراد غصوننا  
 حدد وإنليل ونيinar التي  
 دفقت بثدييها العراق حنينا  
 عشتار تخض دمعها بشقائق  
 اعتربت بوادي الرافدين شجوننا  
 نهر من الضوء المأبر ماوه  
 يجرى على سحن الخلود سخينا  
 متلغا سر بال بقابل زاحفا  
 بجنسوده نحو الشام معينا  
 بعشوا عباد الله، جاسوا .. ما نبا  
 سيف ولم تنض الخيول قريينا

هذا بيان عسكري صارم  
 إن عدتمو عدنا فلاتترجمونا  
 نحن الوجود بكل آفاق السنما  
 متفاعلون مع النهار عيوننا  
 وإذا الدجون أتت بليل عابر  
 تستمطر الأبصر ما يهدينا  
 أم الذين تبادلوا لين النهي  
 أمري وقد رضعوا فكان جنوننا  
 لبنيه سرم وقوسوا ضيغthem  
 إن رامت الأفعى الحقد عرينا  
 إن تحبسوا أرضي تقفين ضروعها  
 عسلا فلام الست تفور منونا  
 من عهد سنحاريب حتى خالد  
 عدت فعدنا وأسائلوا حطينا  
 من مبلغ التسلمود أن دماءنا  
 تعصى ويأبى الدهر أن يعصينا  
 مبككمو حيط التحجر شاءه  
 (يهوه) ويسعى أرقطا ملعونا  
 إن كان ربكمو إليها نادما  
 فخذوا ندامة ربكم قانوننا

## شاھر خضرۃ

# الأجندة



إعداد:

مصطفى عبادة

## قراءة "الكتابات الأنثوية"

بعد كتابة "القمع في الخطاب الروائي العربي"، الذي تناول فيه فكرة الحرية على كل المستويات وعلاقتها بالأدب عامّة، وفن الرواية العربية خاصة ، صدر للنّاقد عد الرحمن أبو عوف كتابه الجديد "قراءة في الكتابات الأنثوية .. الرواية والقصة القصيرة المصرية" عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، والكتاب يقدم نظرة بانورامية عن الكتابة الأنثوية في الرواية والقصة القصيرة ، وهي نظرة تتسم بالعمق والشمول ، تدخل إلى موضوعها متعلقة من الأحكام المسبقة ، والمعرفة القبلية، لتواجه الموضوع بحياداً وموضوعية ، تتعامل مع مكونات عالمه الداخلي، فضلاً عن أن الكتاب الدراسة له طابع شمولي يحيط بأكبر كم من المبدعات المصريات ومن أجيال مختلفة في ١٩ فصلاً تضم قراءة في أعمال: لطيفة الزيات ، سلوى بكر ، ميرال الطحاوى ، نورا أمين ، بهيجه حسين ، ابتهال سالم ، اعتدال عثمان ، نعمات البھيری ، منار فتح الباب.

ظاهرة الكتابة الأنثوية أو النسوية تصاعدت بحدة في العشرين سنة الأخيرة لكي تؤكّد وتبرّز أن المرأة المصرية كانت ولا تزال عضواً فاعلاً وموثراً مع الرجل تناضل وتكتب معه من أجل تدعيم أسس وقيم المجتمع المدني التعددي الليبرالي الجديد والديمقراطي العقلاني في عقده الاجتماعي الذي يبنيه الأن في عالم يموج بالتغييرات السياسية والاقتصادية والعلمية .. وقد ثبت أن الديمقراطية وحرية التعبير ترفع القيمة والاستقلال عن كل من الرجل والمرأة في نفس الوقت ، فالرجل المقهور المقموع هو الذي يمارس بالتالي القيمة على المرأة وإيداع المرأة المصرية في أغلبه يؤكد صلابة روح تحدي المرأة المصرية الجديدة لكل صنوف الاستقلال والقهر فهي تمجد الحياة وبهجتها وترنو إلى المستقبل أكثر حريةً وفرحاً وتقديماً

كما تتوقف الدراسة عند رموز كتابات السبعينيات في القصة والرواية حيث يوحدهن تقارب الموقف الاجتماعي وتجربة الانتماء السياسي وذلك في مقارنة مع رموز كتابات التسعينيات ، حيث يتجلّبن الانتماء واللامبالاة بالمؤسسات ، ورفض كل من الأصولية اليسارية والإسلامية المتطرفة والتركيز على الجسد وقدراتهن على تأسيس نوع من الكتابة الأنثوية التي تتحلى بالتفاق عليه والسايد

فى الرؤى لتعود المعرفة الأنثوية بنسقها الكلى عن الوجود والروح ليكون النسق والبناء الجمالى خارج النسق البطريركى الذى سيطر على الإبداع الروائى للمرأة.

### **أزمة الحماية الدينية**

فى لحظات الضعف التى تمر بها الأمم والشعوب ، تنفجر المشكلات بشكل عنقودى ، ولا يجوز وقتها أولاً يصبح منهجياً الحديث عن كل مشكلة على حدة إذ المشاكل المصغيرة هذه هى التجليات الصغرى لازمة كبرى هى أزمة الضعف العام ، وفى الوطن العربى عامة ومصر بصفة خاصة كانت هناك مشكلتان دائمًا ماتبرزان فى لحظات ضعفها وهما: المرأة والأقباط ، حتى أنه يمكنك أن تعرف مدى قوة مصر وتقدمها من ضعفها وتخلوها بالنظر إلى حجم طرح هاتين المشكلتين على مائدة البحث والحوار والجدل ، والغالب دائمًا أن الحلقات الضعيفة هى التي تدفع ثمن الانهيار العام.

وفى ظل غياب مشروع وطني قومى لمصر ابتداء من السبعينيات تفجرت مشكلة العلاقة مع الأقباط شدًّا وجذبًأ ولم تحسُم إلى الآن حتى وصلنا إلى أن حضر إلينا وقد أمريكا للاطلاع على أحوال الأقباط واستطلاع شئونهم وهو انتهاك صارخ للسيادة الوطنية.

الباحث الشاب الدوى هانى لبيب وضع كتاباً ممتعاً يتناول أزمة الأقباط وأسباب تفجرها وموضوعة الحماية الدينية بعنوان: **أزمة الحماية الدينية : الدين والدولة فى مصر** ، صدر عن دار الشروق حاول فيه رصد المؤشرات التى تركت أثراً واضحًا من خلال تمهيد عام عن الدين والدولة ، بداية من النشأة التاريخية للكنيسة ومروراً بالكنيسة والإسلام وعبوراً إلى العصر الحديث ثم وصولاً إلى علاقة الكنيسة بالمجتمع المدنى من خلال نماذج عملية بارزة.

ثم تعرض لأزمة الحماية الدينية وهى المعركة التى تدور رحاها الان ، وهو مصطلح غربى فى الأساس ، ويعد إحدى آليات المركبة الغربية ، كما أن مصطلح الحماية الدينية نشأ فى السياق الإمبريالي الغربى مما يتنافى مع الوضع فى مصر ، فالقضية هنا فى مصر غير مطروحة بهذا الشكل ، وأقباط مصر ليسوا فى حاجة إلى حماية دينية من أية جهة خارج البلاد ، وهو ما يظهر تاريجياً - عبر فصول الكتاب - من خلال علاقة الاستعمار资料 الغربى بالإرساليات التبشيرية فى الماضي ، وبين علاقة العولمة بالحماية الدينية فى الحاضر دون أى إسقاط على

الكنائس غير القبطية الأرثوذكسيّة في مصر بالإضافة إلى توضيح تفصيلي للمواطنة ودورها.

لم يتعامل الكتاب مع الأقباط المسيحيين باعتبارهم طوائف متعددة داخل الدين الواحد لأن الكتاب ينطلق من أرضية معرفية واجتماعية خاصة ، تتعدى فكرة الطوائف.

### **جمال عبد الناصر نشأة وتطور الفكر الناصري**

لإيازال جمال عبد الناصر ، برغم غيابه الطويل يثير الأسئلة ويهير المحللين وربما كان مرد ذلك إلى المرحلة التاريخية المحبطة التي نعيشها ، والتي نفتقد فيها رائحة الأبطال الحقيقيين ، حتى في كرة القدم ، وفي مثل هذه اللحظة أو اللحظات يتوجه الذهن مباشرة إلى التاريخ سواء القديم منه أم المعاصر للبحث عن لحظة مشرفة أو بطل تاريخي ، يكون تعويضاً عن إحباط الحاضر ، وهي آلية ذهنية ، يكاد ينفرد بها العقل العربي دون سواه.

في هذا السياق صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت كتاب "جمال عبد الناصر .. نشأة وتطور الفكر الناصري" للدكتورة بثينة عبد الرحمن التكريتي ، وهو من الكتب التي تقوم بتمويلها وقفية جمال عبد الناصر الثقافية. لقد تحدد الفكر الناصري من نشأته وصولاً إلى الأهداف القومية الكبرى في الحرية والاشتراكية والوحدة ، فالناصرية بهذا المعنى هي الأفكار النظرية العامة التي توجه الاستراتيجيات والمفهومات التي انتطوت عليها تلك الأهداف القومية ، وهي بكلمة أخرى الأيديولوجيا الثورية المعبرة عن روح الأمة العربية.

يهدف الكتاب إلى رصد معالم الفكر الناصري وأثاره بدءاً بحياة عبد الناصر حيث النشأة وبدياليات التطور الفكري ، ويستعرض المراحل الأساسية لتطور هذا الفكر بالمارسة والتجريبية ، ويلقى الضوء على دور الناصرية في حفظ حركات التحرر في العالم الثالث . كما يبحث في دور هذا الفكر كإحدى دعائم السلم العالمي في أشد أيام الحرب الباردة حرجاً، فقد كان العمل من أجل إبعاد شبح الحرب يأتي في طليعة أولويات حركة عدم الانحياز والتي كان جمال عبد الناصر أحد أبرز أقطابها.

ينقسم الكتاب إلى خمسة فصول وختمة . الفصل الأول هو: الاتجاهات الفكرية والسياسية في مصر قبل ظهور الفكر الناصري . والثاني: حياة جمال عبد الناصر

.. الأسرة ، النشأة ، بدايات التطوير الفكري ، والثالث: تطور الرؤى الفكرية لدى جمال عبد الناصر بعد نكسة فلسطين (١٩٤٨-١٩٥٢) والرابع: تطور الفكر الناصري من الثورة حتى النكسة (١٩٥٢-١٩٦٧) ، الخامس: العوامل التي مهدت للنكسة وإنعكاساتها على آراء عبد الناصر وموافقه . أما الخاتمة فهي بعنوان: الناصرية مفهوماً وإطاراً أيديولوجيا عاماً.

### بلية حمدى: بلاهة الألحان

ما زالت فى حالة انعدام الوزن .. أطير فى مجال بلا مغناطيس يجذبنى إلى شئ .. لا أثبتته.

لأ.. يضطجع قوى على الهمزة .. النهاردة حاسس بحالة رفض جوايا صاحبة معايا من النوم .. لا .. أى حاجة لا . مبسوط لا . زعلان لا . إيه فيه إيه؟ مجرد رفض .. لاعندي رغبة فى الإحساس تدفعنى لنطق كلمة لا . نفسي فى تحطيم قواعد الحركة اليومية .. والسلوك . مش ممكن فيه يوم يبقى اسمه "السبت".

هذه واحدة من يوميات بلية حمدى كتبها فى شهر مايو سنة ١٩٩٣ ، وفيها التعبير الحقيقى والصادق عن حياة بلية الفنية والإنسانية ، تلك الحياة الغنية بالفن والمشاعر والموسيقى ، فقد كان بلية حالة فنية تفجرت فى تاريخ الموسيقى المصرية ، وتركت أثراها واضحاً فى كل من تعامل معها سواء الشعراء أم المطربين أم حتى مستمعى أغانيه ، وبليغ حمدى كما يقول عنه الفنان محمد نوح "عاش عمره القصير فى تدفق مستمر من النغمات والألحان لم تحدث فى التاريخ إلا مرتين لثالثة لهما : مرة مع الموسيقار موتසارت ، ومرة مع سيد درويش ثم كانت الثالثة مع بلية حمدى".

الزميل الصحفى "أيمن الحكيم" غاص وراء حياة بلية وألحانه فى رحلة ممتعة فى كتابه الجديد "بليغ حمدى .. مذكرات شخصية وشهادات مثيرة لرفاق رحلة . الذى صدر عن دار ميريت للنشر والتوزيع .

تتبع أيمان الحكيم كل ما يتعلق بحياة بلية حمدى ، تفاصيل هذه الحياة من خلال مذكراته الشخصية الصوتية والخطية والتى تنشر لأول مرة وتتضمن خفايا علاقاته بأم كلثوم وعبد الحليم ومحمد رشدى وغيرهم من نجوم الأغنية . كما

يحتوى الكتاب على شهادات مثيرة لرفاق رحلة بلية حمدى وأقرب المقربين إليه تكشف عن جوانب مجهولة في شخصيته وهي شهادات كتبها : شقيق بلية حمدى الكاتب مرسى سعد الدين . وعبد الرحمن الأبنووى ، وكامل زهيرى ، والإذاعى الكبير وجدى الحكيم ، والمطرب محمد رشدى ، وهيثم حمدى ابن شقيق الموسيقار وغيرهم من نجوم عصر بلية حمدى . كما يحتوى الكتاب على ثبت كامل بأغانى بلية ومحنها وكاتبى كلماتها والتى بلغت ٧٤٦ أغنية .

والكتاب هو الأول فى المكتبة العربية عن بلية حمدى الذى رحل فى ١٢ ديسمبر عام ١٩٩٣ بعد حياة حافلة بالعطاء والشهرة والشائعات والأضواء ، أثرى خلالها الوجودان العربى بمئات الألحان العذبة التى تغنى بها عملاقة الطرب .

### شمس وضل

فى مجموعتها الثانية "شمس وضل" تحاول القاصة "هدى حسين إبراهيم" التقدم خطوة جديدة إلى الأمام، فى محاولة لإنقاذ الذات الأنثوية من القهر والإحباط العاطفى ، حيث تتحول الكتابة لدى هدى إلى معادل موضوعى ، يتخلص بها الكاتب أو الكاتبة من اشتراطات واقعية ، دعامة هذه المجموعة القصصية الجديدة هي الصدق مع النفس ومع الآخرين، بحيث لا تدعى لنفسها ما لا تعرف ، ولا تكتب إلا ما تحس ، وهو الأمر المقبول من كاتبة غير متفرغة للكتابة ، وإنما هي بالنسبة لها احتياج عاطفى وإنسانى لا ترمى من ورائها إلى شهرة أو مكسب مادى .  
تضع هدى حسين لحظاتها الإنسانية أمام مرأة ذاتها لتكتنه خلال هذه العملية مشاعرها تجاه نفسها وتجاه الآخرين ، فى لغة بسيطة ، تفتقد التركيز المطلوب للكتابة ، لغة تملئها العاطفة ولا تتحكم فيها خبرة كتابية سابقة أو قراءات أدبية نوعية سابقة أيضاً .

يقول محمد جبريل فى تقديميه للمجموعة: الظاهرة الأهم فى قصص هدى حسين أنها تتأمل الحدث ، وتعيد اكتشافه ، السرد بسيط وسهل وغافوى ، إنها تجيد غزل المواقف المحملة بالأفكار المجردة أو الوعظية ..

ولعل البساطة هي السمة الواضحة فى قصص هذه المجموعة ، إنها تعتمد على السرد المباشر الذى ينأى عن الغموض والتلفيز .

## **قصيدة النثر.. رسالة**

لأول مرة توافق إحدى كليات الآداب في جامعة مصرية على موضوع "قصيدة النثر" للدراسة في أطروحة أكاديمية ، فقد وافقت كلية الآداب في جامعة عين شمس على مشروع أطروحة الدكتوراه الذى تقدم به الناقد عبد الله السمعلى تحت عنوان « التحولات الجمالية في قصيدة النثر العربية في النصف الثاني من القرن العشرين »، بإشراف الناقد د. صلاح فضل رئيس قسم اللغة العربية في الكلية. يتضمن مشروع الرسالة أربعة أبواب : في الباب الأول الذى يحمل عنوان ، الإرهاصات الأولى ، يناقش البحث مصطلح قصيدة النثر وإرهاصاتها وإرهاصات التحول والنشر الفني عند جبران وأمين الريحاني والرافعى وحسين عفيف وبعض التجارب الأولية عند كتاب الأربعينيات ، وفي الباب الثاني يدرس مرحلة التأسيس الجمالى من خلال تجربة مجلة « شعر » وتأصيلها النظرى لقصيدة النثر فى الشعرية العربية ودور كل من أدونيس وأنسى الحاج ومحمد الماغوط وشوقى أبي شقراء.

ويناقش فى الباب الثالث مرحلة التجريب فى قصيدة النثر خلال الثمانينيات والتسعينيات عبر مدارس قصيدة النثر الرئيسية فى هذه المرحلة منذ وديع سعادة وسركون بولص وسليم برkatas وعباس بيضون وقاسم حداد ورفعت سلام وسيف الرحبي ، وفي الباب الرابع والأخير تقدم الرسالة ما يسمى بالباحث " مرحلة التفكك " حيث يتناول القضايا الجمالية فى قصيدة النثر فى التسعينيات من قبيل اليومى والمأثور والمهمش والتفاصيل الصغيرة والمشهدية والمشهد من المجاز اللغوى ، والموقف من الواقع والذات الشاعرة وظهور ما يسمى بقصيدة النثر النسوية .

الجدير بالذكر أن الناقد عبد الله السمعلى نال درجة الماجستير عن موضوع « تجربة شعراء السبعينيات فى مصر » وصدر له كتاب نقدى بعنوان « أطياف شعرية » وديوان شعر « فضاء المراثى ». .

## **العرب من الحداثة إلى العولمة**

تنهر فوق رؤوسنا يومياً الكتب سواء المبشرة أو الرافضة للعولمة ، وكلها تعتمد فى بحثها للمصطلح وتجلباته على جميع مناحى الحياة على النظرية فى أصلها الغربى وكما أطلقت بعد حرب الخليج الثانية ، وهىمنة الشركات التابعة

للحالف الغربى ضد العراق ، ولم يحاول أى من هذه الكتب التأصيل لهذا المصطلح وأصوله العربية باستثناء محاولة د. إسماعيل صبرى عبد الله ، والكتاب الذى أصدره مركز دراسات الوحدة العربية فى بيروت وهو عبارة عن ندوة اختلفت فيها الآراء وتبينت مما شتت المتكلى ولم يخرج بفكرة مكتملة عن العولمة.

وذلك محاولة جديدة للإسهام فى هذا المجال صاحبها د. صالح السنوسى وتقوم على أن مشكلة العرب وهم يدخلون القرن الحادى والعشرين لا تتمكن - فقط - فى كونهم يدخلون بوابة هذا القرن مدفوعين إليه دفعاً وعلى غير ما كانوا يتطلبون إليه .. بل تتمكن فى عدم اعتراف الآخرين بدورهم الحضارى ، فى حين أن البعض الآخر يعتبرهم مجرد ناقلين وليسوا مبدعين ، وهى الإشكالية التى سعى إلى حلها صالح السنوسى فى كتابه «العرب من الحداثة إلى العولمة» الصادر عن دار المستقبل العربي

### **الأسطورة الصهيونية والانتفاضة الفلسطينية**

ما زالت الانتفاضة الفلسطينية تلهى المفكرين والمحللين والمبدعين ، لتشتت يوماً بعد يوم أنها جذوة مقدسة من إبداع الأطفال ، وأخر ماصدر فى هذا الشأن كتاب المفكر المصرى مستشار مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية فى الأهرام السيد يسن بعنوان: «الأسطورة الصهيونية والانتفاضة الفلسطينية»

يضم الكتاب مجموعة دراسات تتناول الصراع العربى الإسرائيلي من مختلف جوانبه . فى الباب الأول دراسة متكاملة لمفهوم الذات الصهيونية كما ترى نفسها وذلك من خلال تحليل مضمون كيفي لمجموعة من الأبحاث نشرتها السفارة الإسرائيلية فى واشنطن على موقعها فى الإنترت بمناسبة مرور مائة عام على الصهيونية . كما يتناول الكتاب كيف يدرك المثقفون العرب الظاهرة الصهيونية وتصوراتهم لحل الصراع العربى الإسرائيلي الممتد من خلال تحليل بعض الشهادات والندوات التى قدمها وشارك فيها مثقفون وسياسيون عرب من مختلف التيارات السياسية .

يوضح الكتاب أن الانتفاضة بذاتها أعادت طرح العديد من مشكلات الاستعمار الاستيطانى الصهيونى لفلسطين سواء على المستوى العملى أم النظرى . وخصص الباب الثالث وهو عبارة عن مقالات للمؤلف نشرها فى الأهرام فى صفحة أوراق

ثقافية، تناقض بشكل نقدى مختلف التصورات المطروحة على الساحة الفلسطينية والعربية "ثلاثية المواجهة والتسوية والمقاومة" التى يؤكد فيها المؤلف أن المواجهة هي عملية حضارية ممتدة بين العرب وإسرائيل والتسوية السياسية هي إحدى السبل التى ينبغى طررقها لمعرفة إمكانيات الحصول على الحق الفلسطينى من خلال التفاوض

أما الباب الرابع فهو يتعقب فى موضوع الصراع الحضارى بين مصر وإسرائيل ويناقش مختلف جوانب الموضوع. صدر الكتاب عن دار ميريت للنشر والتوزيع فى ٢٨٥ صفحة.

### "أستان المشط" .. روح حرمة من لبنان"

قصة حب بين تلميذة بيضاء، ومدرس أسود، قصة عادمة يمكن أن تحدث آلاف المرات ، لكن جواد صيداوي ينطلق منها إلى مناقشة العنصرية وتبديالياتها في المجتمعات كافة ، فبسبب هذه العنصرية ، وخوف المدرس الأسود من افتضاح أمره يطلب نقله إلى مدرسة أخرى بعد أن قامت بيته وبين التلميذة علاقة الحب الكاملة خوفاً من الفضيحة وقتله أهالى البلدة به .

لكن وفي لمحات ذكية ينبئ المؤلف إلى أن فكرة العنصرية تتجلى أكبر لدى الأغنياء متخذة بعدها طبقياً ، فالبشر العاديين الذين يكافحون سعياً إلى العيش الكريم لا يتوقفون أمام لون أو معتقد الآخرين لأنهم مشغولون بصنع الحياة ، بينما الأغنياء يكون التفريق بين البشر لديهم مبرراً وسبباً في احتفاظهم بوضعهم الطبقي.

- نفيت التهمة بشدة ، وقلت لها إننا نحترم البشر جميعهم لأن ديننا يعلمنا أن الناس سواسية كأستان المشط.

- الناس ... ماذا؟

- سواسية كأستان المشط.

- مامعنى ذلك؟

- أن الناس جميعهم متباكون أمام الله لا فرق بين إنسان أسود وأخر أبيض.  
توقفت الأم عن ذلك خديها والتقت إلى ابنتها تسألاها باستغراب ظاهر:

- يعني نحن والعبيد متساوون مثل أستان المشط.

- يعني أن الله هو خالق البشر جميعهم.



حاولت سلمى التخفيف من ثبرة صوتها فتممت قائلة:

- هذا صحيح ، ياحبيبتي، إن الله سبحانه وتعالى ، هو خالق الجميع ولكن..

لم تكمل، عادت إلى ذلك خديها . قالت سلوى |

- ولكن ... مازا ياما؟

- لاشي .. يبدو أن رفيقتك كاترين طويلة اللسان أكثر من المزوم.

رواية "أسنان المشط" لـ جواد صيداوي ، صدرت عن دار الفارابي وتقع في ٢١٠ صفحات من القطع المتوسط ، وهى الرابعة فى تاريخ صيداوي الروائى بعد: "العودة على متن الرحيل" ١٩٩٢ و "جمانة" ١٩٩٥ و "مطاردة" ١٩٩٧ كما صدر له من قبل سيرة ذاتية روائية فى ثلاثة أجزاء: "الوكر" ١٩٩٣ - "الإقلاع" ١٩٩٤ - "تونس"

. ١٩٩٤



أ. علاء الدين شوقي

[www.lisanarab.com](http://www.lisanarab.com)

رقم الایداع ٩٢/٧٥١٢

الثمن جنيهان

الأمل للطباعة والنشر